ابتسامة لم يكن مبعثها الرغبة في الصلاة بل الدوافع التي سولتها له . ارتدى ملابسه على عجل وهو يتمتم : « اذا خسرت نفسي فسحقا ... نعم لا يهمني ان اضيع ولا يمكن الا ان البس في قدمي هذا الحذاء ولسوف تضمحل كل الاثار عندما يزداد اتساخا ! » لكنه لم يكد يدخل قدمه فيها حتى سحبها باشمئزاز وهلع. بيد انه فكر انه لا يملك زوجا آخر، فعاد يضحك وهو يتمتم: « لن يحصل شيء .. ها قد لبسته في قدمي... وفرغت منه » ! شعر ان ساقيه لا تحتملان فدمدم مستنجدا : « انه الخوف » . واعقب وهو يشعر برأسه تدور بمعالم الاشياء تغيب عن ناظريه : « انها خدعة ! انهم يتذرعون بالمكر ليستدرجوني ثم ينالون مني نيلا وضيعا » . وتمالك نفسه بجهد خارق واتجه نحو السلم يهبطه وهو يقول : « المزعج في الامر انني في حالة هذيان او ما يقربها ... وقد افلت بعض الحماقات عفوا » .

فكر وهو في طريقه الى السلم بالمسروقات التي خبأها في تلك الثغرة من الجدار فغمغم : « لعلهم ينتهزون فرصة غيابي للقيام بتفتيش دقيق في حجرتي » . غير انه هز كتفيه دلالة على اليأس والاستسلام للمصير وتابع طريقه وهو يقول : « ليفعلوا ما يبتغون علني اتخلص من آلامي ! » .

كانت الحرارة في الطريق لا تحتمل كالعادة لان السماء شحت في تلك الايام الثلاثة الماضية فلم تهطل قطرة واحدة من المطر ... وعاد منظر الجير والآجر والقرميد يصافح عينيه ويحدث في نفسه ذلك الاثر المقبض حتى أنه شعر بالدوار ... كذلك نفذت الى انفه رائحة العفن وأبخرة الحانات القذرة وعاد يصطدم بالسكارى في كل خطوة وحول كل منعطف ! وهكذا عادت اليه اعراض الحمى كعادته كلما خرج في نهار شديد النور قوي الحرارة .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وصل الى المنعطف الذي سلكه أمس في ذهابه والقى نظرة قلقة نحو ذلك « البيت » ثم حول ابصاره وجهة اخرى • وغمغم يتساءل بوجل : « اتراني اعترف اذا سألوني في دائرة الشرطة ؟ » •

كانت دائرة البوليس على بعد ربع « فيرست » (١) من محل اقامته في الطبقة الثالثة من بناء حديث جدا • وقد اتيح لراسكولنيكوف ان يزور دائرة البوليس في مركزها السابق قبل ان تنقل الى المركز الجديد ••• أما هذا المركز فلم تكن لديه أية فكرة عنه •

اجتاز المدخل العام فاذا بسلم الى يمينه كان يهبط عليه في تلك اللحظة واحد من « الموجيك » وبيده كتاب • فغمغم : « لعله الحاجب وعلى هذا فان المكتب هنا » • صعد السلم شاردا دون ان يحاول الاستفسار عن وجهته من احد •

قال يخاطب نفسه : « سوف ادخل واركع على ركبتي واعترف بكل شيء ! » •

كان السلم ضيقا وشديد الميل مليئا بالماء القذر تفضي عليه مطابخ المساكن كلها التي تعمر بها « أدوار » البناء الثلاث وتسقى أبوابها مفتوحة طيلة النهار فتنتشر منها روائح مزعجة • وكان الحجاب لا يفتأون يصعدون ويهبطون وسجلاتهم تحت آباطهم ورجال الشرطة يعج بهم المكان بالاضافة الى قدر كبير من الاشخاص من الجنسين وكل ينتظر دوره ، وكانت الحرارة خانقة في الداخل يزيد في ضغطها رائحة الزيت التي كانت تنتشر من الغرف حديثة الطلاء حتى لبحس المرء بالغثيان • انتظر راسكولنيكوف لحظة وآثر بعدئذ الانتقال الى الغرفة المجاورة • كانت غرف البناء كلها صغيرة منخفضة ••• شعر بلهفة

---

(١) فيرست : ١٠٦٧ مترا . المترجم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لا تقاوم تدفعه الى استباق الزمن وبلوغ غرفة المدير ليطمئن الى السبب الذي دعي من اجله . فلما دخل الغرفة الثانية شاهد نفرا من الكتبة منكبين على دفاترهم . ولم تكن ملابسهم افضل من ملابسه سألـه احدهم قائلا :

ـ ما هي حاجتك ؟

ابرز راسكولنيكوف تذكرة الدعوة فلما قرأها الكاتب قال له :

ـ انت طالب علم ؟

فأجاب : ـ نعم طالب علم سابق .

تفحصه الكاتب بنظرة لا تنطوي على شيء من الضجر او الحقد .

كان رجلا اشعث الرأس بشع المنظر ذا نظرة ثابتة منحجرة ، اشار بيده الى الغرفة الاخيرة في الممشى وقال :

ـ اتصل بأمين السر هناك .

اتجه راسكولنيكوف نحو الغرفة الرابعة والاخيرة ، وكانت ضيقة تعج بالمراجعين . كان الحاضرون افضل حالا ممن شاهدهم حتى تلك اللحظة في تلك الدار وكان بينهم سيدتان احداهما ترتدي ملابس الحداد متجهة بوجهها نحو احد الكتاب تملي عليه افوالها . اما الاخرى ـ وكانت ضخمة الجسم ذات وجه زاهي اللون تشوهه لطخات من اثر مرض جلدي ، مفرطة الزينة تتدلى على صدرها حلية « بروش » تشبه الاناء ـ فانها كانت تجلس منفردة وكأنها تنتظر دورها . قدم راسكولنيكوف الرقعة لأمين السر فنظر اليها نظرة سريعة ثم قال باقتضاب : ـ انتظر ... وراح يتابع الاهتمام بالسيدة ذات الملابس السوداء .

تنفس راسكولنيكوف الصعداء وهو يتمتم : « لا شك ان الامر

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لا علاقة له بقصة البارحة ! » واستعاد شجاعته وروعه وصفاء ذهنه وحضور بديهيته . وتمتم محدثا نفسه : « ان أية حماقة، بل ان أية خطيئة مهما بلغت تفاهتها تقضي علي ... هم ! .. من المؤسف ان لا يكون هنا شيء من الهواء ... اكاد اختنق والدوار يعاودني ... » .

شعر في أعماقه بانقلاب مريع .. كان يخشى أن يفقد سيطرته على نفسه ! كان يحاول التمسك بشذرات افكار قلقة تضيق بها رأسه ولكنه يخفق ! وكان اهتمامه متجها الى « امين السر » ... كان يحاول ان يستخلص شيئا اعتمادا على مظهره ، شيئا يستهدي به ويرتكز اليه .

كان امين السر شابا في الثانية والعشرين من عمره ، ذا وجه اسمر يبدو اكبر سنا من حقيقته ، مرتديا ثيابه على احدث طراز وبشيء من الأناقة ، ذا شعر ممووج مضمخ مفروق في الوسط حتى مؤخرة الرأس، يلمع في أصابعه عدد من الخواتم وله يدان نظيفتان دقيقتان ، وتتدلى من جيب صدارته سلسلة ذهبية . سمعه يتبادل مع احد الاجانب وكان يجلس بالقرب منه حديثا باللغة الافرنسية ولاحظ انه يتكلم بطلاقة! وفجأة قال امين السر موجها حديثه للسيدة البدينة :

ـ هلا جلست يا لويز ايفانوفنا !

فجلست وسط حفيف ثوبها الحريري ذي اللون الصارخ بعد ان كانت واقفة لا تحاول الاقتراب من الكرسي القريب منها . وانتشرت ذيول الثوب الموشاة بالدانتيلا في شبه دائرة كبيرة وصلت الى منتصف الغرفة بينما تضوع عنه شذى عطر نفاذ . بدت السيدة مرتبكة بعض الشيء لاشغالها هذا الفراغ الكبير بثوبها الازرق السماوي وعبرت الابتسامة الباهتة التي ارتسمت على شفتيها تعبيرا واضحا عما يعتلج في نفسها من انفعالات ... وفي تلك اللحظة انتهت السيدة ذات الثياب السوداء من عملها ونهضت تهم بالخروج فاذا بجلبة ترتفع وضابط

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

في هيئته ما يوحي بالشجاعة يدخل الغرفة وهو يمشي محركا كتفيه بحركة وتيرة تتناسق مع خطاه . القى الداخل قبعته المزينة بالاشرطة على المكتب وجلس على أريكة . نهضت السيدة البدينة باحترام حينما شاهدت الضابط وانحنت امامه انحناءة عميقة محيية فلم يكترث لها ولم يعرها التفاتة ولم تجرأ هي بدورها على الجلوس في حضرته فظلت واقفة . كان ذلك الضابط معاون رئيس القسم ذا شاربين كبيرين اشهبين يبرزان افقيا على جانبي وجهه وتقاطيع دقيقة تعبر عن شيء من الخشونة والتكبر . نظر الى راسكولنيكوف باحتقار ، وكان على حق اذا حكم على المظهر لان راسكولنيكوف كان زري الملابس الى جانب الارتباك والخجل اللذين لاحا عليه فكان مظهره الخارجي لا يتلاءم مع المستوى في تلك الغرفة . وشاء سوء حظ راسكولنيكوف ان ينظر بجرأة في عيني ذلك الضابط الذي شعر بنوع من الاهانة لتلك النظرة وادهشه وجود صعلوك في تلك الغرفة لا يفكر في غض بصره امام نظرته الصاعقة فصرخ يقول :

ـ ماذا تريد يا هذا ؟

فأجابه راسكولنيكوف بشكل ما :

ـ لقد استدعيت بناء على طلب .

وبادر أمين السر الى القول متخلصا من أوراقه :

ـ انه هنا بصدد المطالبة بالمال : « انه الطالب » !

ثم دفع نحو راسكولنيكوف دفترا واشار الى فقرة فيه وقال :

ـ اقرأ هذا !!

خفق قلب راسكولنيكوف فرحا وشعر براحة هائلة عميقة تفيض على نفسه . المال ؟ واي مال ؟ اذاً ليست الدعوة بصدد « ذاك » .

كان هذا محور تفكير راسكولنيكوف . شعر بأن الحمل الذي

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان يوقره قد ازيح عن كاهله • صاح به الضابط الذي استشاط غضبا دونما سبب وجيه :

ـ واية ساعة حددت لكم يا صاحب المعالي ؟ يطلب اليك ان تحضر في التاسعة وها نحن في العاشرة والربع •

لم يتمالك راسكولنيكوف نفسه فقد شعر بدوره بغضب مفاجىء يكتسحه ، غضب لم يترك مجالا لأية رغبة أخرى فصاح بصوت مرتفع:

ـ لم تعطِ الي « الرقعة » الا منذ ربع ساعة فقط • وانه لمجهود مني أن احضر أنا المريض المحموم •

ـ لا تصرخ هكذا !

ـ انا لا اصرخ! انا اتكلم بهدوء اما انت ، فأنت الذي تصرخ••• وأنا طالب ولا اسمح لأحد أن يصرخ في وجهي •

ـ اخرس ، انك في محكمة وتلك سماجة يا حضرة السيد •

ـ وكذلك انت في محكمة معذلك فانك تصيح في وجهي وتدخن لفافتك واذا فأنت تحتقرنا جميعا •

شعر راسكولنيكوف بسرور بالغ وهو يتفوه بتلك الكلمات وكان امين السر ينظر اليهما باسما • اما الضابط فقد زاد غليانه حتى انه لبث برهة مشدوها ولما أسعفه النطق هتف بصوت غير طبيعي .

ـ هذا ليس شأنك • تفضل بالادلاء بافادتك التي تطلب منك • اره يا « الكسندر غريغوريفيتش » ! شكايات ضدك • انت لا تدفع ديونك مع ذلك فأنت تصيح وتحتج •••

ثم التفت الى امين السر وقال :

ـ ما موضوع الشكوى ضده ؟••

فأجاب امين السر مخاطبا راسكولنيكوف :

ـ انه مال يطلب منك ان تدفعه سدادا لسفتجة وبناء على الطلب •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فلك اما ان تدفع مع النفقات والغرامة الى آخره ، واما ان تصرح خطيا عن التاريخ الذي تستطيع الدفع فيه وبذات الوقت تتعهد بعدم مغادرة العاصمة وعدم بيع أو اخفاء شيء من ممتلكاتك قبل التسديد. أما الدائن فانه مخير بل ومجاز في ان يبيع ما تملك وان يتصرف ضدك وفقا للانظمة المرعية .

ـ ولكنني لست مدينا لأحد .

ـ ذلك ليس من شأننا . لدينا سفتجة موقعة بمبلغ مائة وخمسة عشر روبلا قدمتها السيدة « زارنيستين » ارملة احد مساعدي الكلية وقد رفعت الارملة « زارنيستين » تلك السفتجة الى المستشار الحقوقي « تشيباروف » وهكذا استدعيناك لضبط اقوالك .

ـ ولكنها صاحبة مسكني ؟

ـ وماذا يهم ان يكون صاحبة مسكنك ؟..

كان امين السر يتأمله وعلى وجهه ابتسامة مشفقة عطوف وقد التمعت في عينيه نظرة انتصار وكأنه يقول : « هذا غر وقد ارتج عليه » . ظل راسكولنيكوف واقفا يقرأ ويسمع ويجيب احيانا ، كل ذلك بشكل آلي . فهو لم يستطع الصمود لرد الفعل الذي حدث في نفسه : « هل كان يجدر استدعاؤه واقلاقه من اجل هذه التفاهة ؟ . سفتجة ... هل تستحق مثل هذه العناية » . كان يشعر شعورا غريبا بأنه افلت من خطر مريع وانه انقذ عنقه من القطع . وكان هذا كل ما يمثل في خاطره . نعم .. لقد نجا دون ان يعمد الى توقد ذهنه واللجوء الى تدابيره واحتياطاته التي صممها ودون ان تطرح عليه اية اسئلة . لكنه في تلك اللحظة انتزع من خواطره بفعل ارعاد الضابط وصياحه . كان في هذه المرة ـ وهو لا زال يعاني من آثار تحدي راسكولنيكوف له ـ يبحث عن ناحية أخرى يفتأ غضبه فيها ولم يجد غير « المرأة البدينة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

المتبرجة » التي كانت لا تزال تنظر اليه بابتسامة بلهاء منذ ان احتقرها عند دخوله .

صاح بها يقول :

ـ آه .. هذا انت ! انت ايتها الـ ... الـ .. ماذا حصل عندك في الليلة الفائتة ؟ هه ؟ لقد عدت مجددا وصمة في جبين الحي الذي تقطنين فيه وعدت الى اثارة عراك في الشارع ؟ اذا خصام جديد وثمل ، ولسوف ارسلك الى اصلاحية ولقد انذرتك من قبل ... انذرتك عشر مرات وافهمتك انني لن احتمل المرة الحادية عشرة وها انت ذي قد عدت ايتها « الفاعلة التاركة » .

كادت الورقة التي في يد راسكولنيكوف ان تسقط على الارض من الدهشة فنظر الى السيدة البدينة نظرة [illegible] التي تلقاها دون ان تريم وادرك فورا اي نوع من النساء هي وبدت القصة له مسلية بعض الشيء فاصغى وفي نفسه رغبة في الضحك ... والانفجار مقهقها . فلقد كانت اعصابه كلها تهتز استجابة لهذه الرغبة. وكان امين السر يحاول تهدئة الضابط « اليابتروفيتش » وهو يعرف سلفا ـ لخبرته الطويلة به ـ ان تدخله لن يجدي وان من العبث وضع حد لغضبة الملازم اذ انفجر مرجل ذلك الغضب . اما السيدة المتبرجة فقد بدأت ترتجف عندما بدأ الضابط الملازم يبرق ويرعد ولكنها ـ لعظيم دهشته واستغرابه ـ وجد انها كانت تهدأ ويكسو وجهها الاطمئنان كلما ازدادت شتائم الضابط الملازم وسبابه قحة وعنفا . بل انها ابتسمت له ابتسامة جذابة ولم تزل تنحني أمامه منتظرة بفارغ صبر دورها في الكلام . ولما أراد الضابط ان يتنفس ليتابع حملته انتهزتها فرصة مواتية لتقاطعه بقولها :

ـ يا سيدي الرئيس (لاحظ كلمة الرئيس) لم يحدث عندي

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لا عراك ولا معارك ولا فضيحة . كل ما في الامر نوع من التمثيل وسأحدثك كيف وقع ذلك يا سيدي الرئيس ! انها ليست خطيئتي... ان منزلي محترم يا سيدي الرئيس ! والرواد يتصرفون تصرفا نبيلا يا سيدي الرئيس ! ولم يحدث ابدا ابدا ان وافقت على حدوث فضيحة ... وقد جاءني ذلك الرجل ثملا يترنح وطلب ثلاث زجاجات ثم رفع ساقيه في الهواء وراح يعزف بهما على « البيان » فهل هذا تصرف نبيل في منزل شريف ؟ لقد اعطب « بياني » فقلت له ان تصرفه لا يروق لي وعندئذ اخذ زجاجة وراح يضرب الموجودين بها على أقفيتهم ، فناديت الحارس « فورنيك » فجاء وضرب الرجل « كارل » فخدش احدى عينه وكذلك خدش عينا لهنريت وصفعني خمسا . وازاء هذا التصرف غير اللبق وخصوصا في منزل محترم كمنزلي لم اتمالك ان استنجدت يا سيدي الرئيس ؟ فمضى الرجل الى النافذة المطلة على القنال وراح يزمجر كالخنزير الصغير حتى خجلت منه اذ كيف تجوز الزمجرة كالخنزير أمام النافذة ؟ في .. في .. في ..! جذبه كارل من معطفه ليرغمه على مغادرة النافذة وهنا ــ والحق يقال ــ مزق له ثوبه وعندئذ راح يصرخ ويحتج مطالبا بعطل وضرر قدره خمسة عشر روبلا قيمة « فراكه » الممزق وأنا لم أدفع له يا سيدي الرئيس الا خمسة روبلات ثمنا لذلك الثوب ، كل هذا جرى في منزل محترم احدث فيه هذه الفضيحة . وقد هددني بانه سيكتب ضدكم هجاء كبيرا وينشره في الصحف مدعيا انه على اتصال بها جميعها .

ــ هيه ! .. اذا فهو كاتب ؟

ــ نعم يا سيدي انه انسان خشن وجريء فوق ذلك لانه لم يخش وهو في منزل شريف ..

ــ هيا هيا هيا .. كفاني ما سمعت لقد قلت لك وكررت ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وهنا تدخل امين السر من جديد وهتف بالضابط «الیا بتروفيتش» معاتبا فنظر هذا اليه نظرة سريعة قابلها امين السر بايماءة من رأسه وتابع :

ـ حسنا ... فيما يتعلق بك يا لويز ايفانوفنا المحترمة فاليك كلمتي الاخيرة وللمرة الاخيرة : اذا حدث ان وقعت فضيحة جديدة في بيتك المحترم فلسوف اصعدك بنفسي الى « سلة السلطة » (١) كما يقال باللغة الفصيحة . فهل سمعت ؟ اذا انه اديب كاتب ذلبك الذي قبل في « منزل محترم » خمسة روبلات لقاء ذيل « فراكه » .. مرحى لاولئك الكتبة ...

والقى على راسكولنيكوف نظرة احتقار واردف :

ـ اول امس في حانة ، وقعت حادثة مع واحد من اولئك الادباء فقد تناول الطعام ورفض الدفع وهدد صاحب المطعم بهجوه في الصحف . وكان آخر على باخرة منذ ثمانية ايام فسب وشتم بكل الكلمات عائلة من ارفع العائلات واعرقها شرفا : زوج وابنة مستشار في الدولة وكذلك طرد واحد منهم منذ ايام من دكان حلوي . هكذا هم هؤلاء الادباء الكتاب الطلاب ... بوه !

وعاد الى السده يصيح بها :

ـ اما انت فارحلي من هنا وسأراقبك بعين لا تغفل فحذار حذار ! هل سمعت ؟

حبث لويز ايفانوفنا وانحنت للحاضرين جميعهم بحركة رشيقة ! ثم اتجهت نحو الباب وهي تتراجع وتنحني تحاول الخروج . غير انها اصطدمت صدمة عنيفة بضابط ذي وجه مشرق وضاء يزين وجهه

---

(١) يقصد عربة السجن . المترجم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

سالفان اشقران ... كان ذلك الضابط هو « نيكـوديم فوميتش » بالذات رئيس القسم « قوميسير » . فبادرت لويز ايفانوفنا الى الانحناء امامه حتى كادت ان تلمس الارض ثم غادرت الغرفة . اما الضـابط فقد راح يقول بصوت ناعم لطيف يحمل معنى الود موجها حديثه الى مساعده اليابتروفيتش :

ـ لقد اثارك مجددا يا عزيزي اليا بتروفيتش ! نعـم كنت ثائرا وقد سمعت من السلم . فأجابه اليابتروفيتش وهو ينتقل من طاولـة الى اخرى حاملا اوراقه معه ومحركا كتفيه على عادته :

ـ ما العمل ؟ انظر هذا : ان حضرة السيد كاتب ، طـالب او بالاحرى طالب سابق غير انه لا يسدد ديونه ، ويوقع على سفاتـج ويرفض اخلاء المسكن فتنهال علينا شكايات مستمرة ضده واذا بـه يحتج لانني ادخن لفافتي في حضرته ومع ذلك تمعن فيه : هذا هو في اروع بهائه !

غير ان نيكوديم فومينش قال مقاطعا :

ـ ان الفقر ليس عيبا يا صديقي لكننا نعلم انك من البـارود لا تحتمل الاذية .

ثم خاطب راسكولنيكوف قائلا :

ارى انك اثرت حفيظته ولم تسيطر على اعصابك وقد اخطـأت يا صاح لان اليابتروفيتش من زبدة الرجال وخيرتهم اؤكد ذلـك .. الا انه ناري المزاج كالبارود يشتعل ويثور ثم يخمد ولا يبقى مـن ثورته شيء ! ان له قلبا من ذهب وقد اطلق عليـه في الفرقـة لقب « الملازم البارود » .

هتف اليابتروفيتش وقد سره ثناء رئيسه وارضى غروره

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ويا لها من « فرقة » تلك ...

شعر راسكولنيكوف باغراء ليقول شيئا جميلا مناسبا فوجد نفسه يقول بصوت واضح :

ـ العفو يا سيدي الرئيس ... لكن ضع نفسك مكاني ! مع ذلك فأنا على استعداد للاعتذار اليه اذا كنت قد غمطته حقه من الاعتبار . أنا طالب فقير مريض أنوء بالفاقة (وقد استعمل عامدا كلمة انوء) نعم ... انا طالب سابق لانني اليوم لا املك وسائل المعيشة اللازمة للاستمرار في الدراسة . لكن أمي وأختي اللتين تسكنان مقاطعة «ايكس» .. سترسلان الي مالا قريبا ولسوف أدفع . أما صاحبة المسكن الذي اقطنه فهي سيدة نبيلة ازعجها ان اخسر دراستي وان انقطع عن دفع ما علي منذ ستة اشهر فامتنعت خلال هذه المدة عن تقديم الطعام الي ولست أفهم سبب هذه المعاملة ! وها هي ذي تصر الان على أن ادفع لها مستعينة بهذه السفتجة ، فاحكم بنفسك .

وتدخل أمين السر من جديد ليقول :

ـ لكن هذا ليس من شأننا ..

لكن راسكولنيكوف تابع حديثه دون ان يعبأ بملاحظة امين السر :

عفوا ، عفوا ، أنا من رأيك . ولكن دعوني من جانبي اشرح لكم: انني اقطن عند السيدة « زارنيستين » منذ ثلاث سنوات وهو الوقت الذي مضى علي هنا منذ ان تركت المقاطعة التي جئت منها . وفي البداية ... اقصد في بادىء الامر ... ـ ينبغي ان اعترف ـ بانني بدوري وعدتها بان اتزوج من ابنتها . كان وعدا شفهيا فحسب لان الفتاة كانت تعجبني رغم انني لم اكن اعشقها وبكلمة واحدة اقول انه الشباب ! هذا ما دعا صاحبة المسكن ان تقرضني بسخاء وكنت اعيش حياة وديعة مسلية ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان راسكولنيكوف يتحدث غير مبال بأمين السر . كان يخاطب نيكوديم فوميتش وحده ولقد اراد حينا ان يشرك الملازم اليابتروفيتش في الحديث غير ان هذا تشاغل بفحص اوراقه معرضا عنه باحتقار . ولما بلغ هذا الحد من كلامه قاطعه اليا بتروفيتش بجفاء قائلا :

ـ لم نكن نطلب منك هذه التفاصيل الخاصة أيها السيد وليس لدينا الوقت للاستماع اليك .

فأوقفه راسكولنيكوف باشارة من يده وتابع قصته بحماس رغم ما شعر به فجأة من صعوبة في الاستمرار ...

ـ لكن لو سمحت ، ينبغي ان اطلعكم على سير الامور بالترتيب رغم عدم نفع التفاصيل واهتمامكم بها . منذ عام توفيت تلك الفتاة متأثرة « بالتيفوس » ولبثت انا مستأجرا عند السيدة التي احتلت منذ ذلك الحين الشقة التي تقطنها الان وقالت لي بتودد ان لها ملء الثقة بي لكنها ترجوني أن أوقع لها تلك الورقة اوردت فيها حسب تقديرها مجموع الدين الذي لها بذمتي واردفت ـ بعد ان وقعت بناء على طلبها ـ بأنها ستستمر على أقراضي في الوقت الذي أشاء وانه يستحيل ـ نعم هذه هي الكلمة التي استعملتها ـ يستحيل ان تستثمر توقيعي على تلك الورقة بل انها تترك لي الحق في ان ادفع متى اشاء ... والان وقد اضعت دروسي وغدوت لا املك ما اتبلغ به تأتي هي وتشكوني فماذا نطلق على هذا ؟

فقال له اليابتروفيتش بلهجة حاسمة مهينة :

ـ ان كل هذه التفاصيل الدقيقة الشخصية لا تهمنا ايها السيد اننا نطلب منك ان توقع على التصريح والتعهد فحسب . اما وانك كنت عاشقا او غير عاشق الى آخر تلك الملابسات المؤسية فليس

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لنـــا الا ...

فقاطعه نيكوديم فوميتش مغمغما وهو يجلس وراء مكتبه وكأنه خجل من تصرف مساعده :

ـــ هيه ! انت تقسو قليلا .

وقال امين السر مخاطبا راسكولنيكوف :

ـــ اكتب ! ..

فسأل هذا بلهجة خشنة :

ـــ وماذا اكتب ؟

ـــ سوف املي عليك .

لاحظ راسكولنيكوف أن أمين السر يعامله بمزيد مـــن الاحتقار والاشمئزاز بعد اعترافه ذاك ولكنه كان يشعر في اعماقه باستهتـــار لما قد يتخذه غيره ضده من الاجراءات ويستخلصه من الاستنتاجات . وقد طرأ عليه ذلك التحول في خلال لحظة خاطفة حتى انه لو فكر قبل أن ينطق بما نطق لاستنكر على نفسه تصرفها ولأدهشـــه اشراكهم في عواطفه ودخائله ... تلك العواطف التي لا يدري من اين جاء بها . كان يشعر في تلك اللحظة انه لو استبدل من في الغرفة من رجـــال الشرطة بأصدقاء اعزاء على نفسه لما وجد في مقدوره ان يتلفظ بكلمة انسانية واحدة يعرب بها عن احساساته حيالهم ... لقد غدا قلبه فارغا تماما وعاوده الاحساس القاتم بالوحدة .. الوحدة العميقة القاسيـــة التي تنخر كيانه . لم يكن مرد ذلك الانقلاب النفسي دناءة الاعترافات العاطفية التي اوردها على مسامع اليابتروفيتش او الانتصـــار البشع الذي سجله ذلك الملازم عليه ، فقد شعر بأن دناءته وغرائزه والضباط والالمان والسفاتج والدوائر وكل ما هناك لا يمكن ان يثير اهتمامـــه في شيء حتى انه كان ما كان ليطرف بعينه استغرابا او استنكارا لـــو

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

سمع انهم يحكمون عليه باحراقه حيا، بل انه ما كان ليلقي بالا الى ذلك الحكم لو صدر . كان ما يشعر به جديدا كل الجدة ، عاملا خفيا لم يسبق له أن شعر بمثله من قبل . عاملا لم يفهمه بل شعر به فقط وأحس بتأثيره . انه يدعوه بل يستصرخ احساساته بان لا ينبغي له ان يخاطب هؤلاء الناس ، هؤلاء الموظفين من الشرطة ليس في مشاكله وعواطفه كما فعل منذ حين فحسب بل في اي شيء حتى انه لو استبدل هؤلاء الموظفون باقرب واعز اقربائه ، باخوانه واخواته ، لما وجد في نفسه دافعا الى مخاطبتهم .

وبينما كان فريسة لهذا الشعور المؤلم الذي لم يعهد بمثله كان امين السر يملي عليه صيغة الاعتراف المعمول به في مثل تلك الحالات « لا استطيع الدفع واعد بالتسديد بتاريخ كذا . لن ابرح هذه المدينة ولن ابيع او امنح ما امتلك الخ .. » ولاحظ امين السر بفضول ان القلم قد سقط من يد راسكولنيكوف فهتف به :

— ارى انك لن تستطيع الكتابة ! فهل انت مريض ؟
— نعم ان بي دوارا ... استمر
— هذا كل شيء ، وقع بامضائك

وسحب امين السر الورقة الموقعة وانصرف الى اعمال اخرى بينما اعاد راسكولنيكوف القلم ولكن بدلا من ان ينصرف اسند مرفقيه الى الطاولة وضغط رأسه بين يديه . كان يشعر كأن مسمارا قد غرس في جمجمته واحس برغبة غريبة تدفعه الى القيام فورا والاقتراب من نيكوديم فوميتش والاعتراف له بالتفاصيل الدقيقة ، بما عمل البارحة ، ثم مرافقته حتى مسكنه ليطلعه على الاشياء التي اخفاها في تلك الثغرة وراء السجادة المهلهلة . كان الاغراء عنيفا حتى انه نهض من مكانه لينفذ ما جال في خاطره . وحدث نفسه خلال

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ذلك الذهول العظيم : « اولا يجدر بي ان امعن النظر دقيقة اخرى ؟ ولكن كلا ! من الافضل ان اعمل دون ان افكر فأزيح هذا العبء الثقيل ! » وتسمر في مكانه برهة :

كان نيكوديم فوميتش يتحدث بحرارة الى اليابتروفيتش وبلغت مسامع راسكولنيكوف العبارات التالية :

ـ ذلك لا يمكن ان يحدث ، سوف نطلق سراحهما معا لان القضية معقدة متناقضة ولك أن تحكم بنفسك . لم يستدعيان البواب لو انهما فعلا ذلك ؟ ألكي يشيان بنفسيهما ام اغراقا في الخداع ؟ كلا ، ذلك لا يمكن ان يكون مكرا ! ثم ان ذلك الطالب « بيستریاكوف » شوهد من قبل امرأة وبوابين قرب المدخل الرئيسي في اللحظة التي وصل بها وكان برفقة ثلاثة من اصدقائه ودعهم عند الباب طالبا اليهم الانتظار . ولقد استفسر عن العنوان بحضور اصدقائه فهل كان يعمل ذلك لو انه جاء ينفذ تلك الفعلة ؟ اما « كوخ » ذاك فقد امضى نصف ساعة عند بائع حلي في الشارع قبل ان يصعد الى مسكن العجوز وكانت الساعة الثامنة الا ربعا تماما حين خرج من لندن الجوهري متجها اليها فاحكم الان .

ـ لكن اسمح لي ، كيف يمكن ان تتناقض عبارتهما بهذا الشكل ؟ فهما يؤكدان انهما قرعا الباب فوجداه مغلقا ثم بعد ثلاث دقائق عادا مع الحارس فوجدا الباب مفتوحا .

ـ لا شك ان هنا نقطة السر ! فالقاتل بالتأكيد كان مختفيا داخل المسكن مغلقا على نفسه الباب بالمزلاج لولا حماقة « كوخ » الذي انصرف من مكانه لبستدعي الحارس لاكتشفه حتما . استطاع القاتل خلال هذه الفترة ان يهبط السلم وان يتسلل تحت انوفهم على شكل من الاشكال ثم ان « كوخ » كان يقول ملوحا بيديه الاثنتين : لو أنني

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لبثت هناك لخرج الي فجأة ولقتلني بفأسه .

ـ مع ذلك لم يشاهد القاتل أحد !

ـ وكيف يشاهدونه والبناء سفينة نوح حقيقية ؟..

كانت هذه الملاحظة صادرة عن امين السر الذي كان يصغي الى حديثهما بانتباه . واسترسل نيكوديم فوميتش بحرارة :

ـ ان القضية واضحة ، واضحة !

غير ان اليابتروفيتش اصر على قوله :

ـ كلا ! ان القضية ليست واضحة ابدا .

رفع راسكولنيكوف قبعته واتجه نحو الباب ولكنه لم يبلغه ... وعندما استرد وعيه رأى نفسه جالسا على « كرسي » والى جانبيه شخصان يمسكان به ليمنعاه من السقوط وفي يد أحدهما كأس فيها ماء اصفر اللون بينما كان نيكوديم فوميتش واقفا امامه ينظر اليه بحدة . فنهض من مكانه وابتدره نيكوديم فوميتش بلهجة خشنة :

ـ ما بالك ؟ أأنت مريض ؟

واعقب امين السر قائلا وهو يعود الى اوراقه :

ـ كان لا يكاد يضبط اعصابه حينما كان يكتب الاقرار حتى ان القلم كان يتحرك في يده بصعوبة .

وهتف اليابتروفيتش من مكانه وهو يرتب اوراقه :

ـ أأنت مريض منذ بعيد ؟

فغمغم راسكولنيكوف :

ـ منذ امس .

ـ لكنك لم تكن امس في مسكنك . هل خرجت منه ؟

ـ نعم لقد خرجت .

ـ وانت مريض ؟

ـ نعم وانا مريض ..

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ وكم كانت الساعة ؟
ـ حوالي الثامنة مساء .
واين ذهبت واسمح لي بسؤالك
ـ الى الشارع .
ـ يا لها من اجابة قصيرة وواضحة .

كان راسكولنيكوف شاحبا لا حياة فيه وكان يجيب باقتضاب وبصوت مضطرب دون ان يغضي بطرفه او ان يشيح بعينيه السوداوين الملتهبتين امام نظرة اليابتروفيتش الذي قال بلهجة غريبة :

ـ لا ... بأس ... عليك .!

واراد نيكوديم فوميتش ان يضيف شيئا غير ان امين السر نظر اليه نظرة حافلة بشتى المعاني فصمت وسكت الباقون مما ادهش راسكولنيكوف خصوصا عندما سمع اليابتروفيتش يقول :

ـ هيا لا بأس لن نستبقيك اكثر من ذلك .

انسحب راسكولنيكوف واستطاع وهو في طريقه الى الباب ان يسمع احتدام الحديث بين الضابطين وامين السر وبلغه صوت نيكوديم فوميتش يطرح بعض الاسئلة ولما بلغ الشارع استعاد هدوءه فهتف قائلا :

« تفتيش ! تفتيش ! ، لسوف يفتشون مسكني ، اولئك الاشقياء انهم يشتبهون بأمري » وعاد الرعب يستحوذ عليه من رأسه حتى اخمص قدميه .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٣١

كان يتساءل : « ماذا ؟ يكون لو ان التفتيش قد وقع بالفعل ؟ سوف اراهم حتما في غرفتي الان »

لكنه بلغ غرفته فلم يجد فيها احدا حتى ناستاسيا نفسها لم تكن قد مست شيئا . هتف :

ـ رباه ! كيف تركت كل هذه الاشياء في مخبئها ؟

هرع الى المخبأ فأدخل يده وراء السجادة المعلقة واخرجها حاملة المسروقات ثم حشرها في جيبه وهو يعدها : ثمانية ، بينها علبتان صغيرتان تحويان اقراطا للاذن او شيئا من هذا القبيل لم يحاول التدقيق فيه ، ثم اربع علب اخرى مغطاة بقماش « الماروكان » وسلسلة ملفوفة في ورقة انتزعت من صحيفة يومية واشياء اخرى مشابهة ولعلها اوسمة ذهبية ملفوفة كذلك بورق الصحف . وزع هذه الاشياء على جيوب معطفه والجيب الوحيد الذي بقي له في سروالـه ساعيا ان لا يظهر لها حجم واضح ثم اضاف اليها حافظة النقود وخرج من غرفته تاركا بابها مفتوحا على مصراعيه .

سار بخطى حثيثة متزنة رغم ضعفه وشعر بصفاء في ذهنه : كان يخشى تسللا ، ويخاف ان يداهم او ان يفتح تحقيق معه خلال نصف ساعة او ربع ساعة وعلى ذلك فان عليه ان يخفي الادلة الجرمية. نعم ، يجب ان ينتهي من كل هذا طالما انه يحتفظ ببعض القوة وصفاء الذهن ! ولكن الى اين يذهب ؟..

كانت هذه النقطة مبحوثة من قبل ومقررة : « سألقي بهذه الاشياء في القنال ولسوف تمضي هذه الادلة الثبوتية الى الماء حاملة معها المسألة كلها » تلك كانت فكرته في الليلة السابقة عندما كان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

في ذهوله وهذيانه يهتف خلال لحظات الاشراق التي كانت تتخللهما : « ينبغي الخلاص من هذا بالسرعة الكلية » وبدت له القضيـــة الان اسهل مما كانت عليه بالامس .

امضى ربع ساعة وربما اكثر وهو يذرع ضفة قنال « كاترين » ويعاين السلالم التي تهبط الى المرافىء المنخفضة كلما لقي واحـــدا منها . لكنه لم يفكر في تنفيذ مشروعه خلال ذلك الوقت لانه كـــان يلتقي تارة بزورق واخرى بنسوة يغسلن الملابس ، او كان يصـادف مراكب مثبتة الى الرصيف ، وكانت الارصفة تعج بالناس والمكـــان مكشوفا يصعب فيه اجتناب نظرات الفضوليين . سيكون غريبـا ان يتحدر انسان عمدا وان يتوقف ليلقي باشياء الى الماء ... ثم هـــل يعقل ان تغوص تلك العلب المصنوعة من القماش في الماء ؟ واذا طفت ـ وهذا ما سيحدث ـ فلسوف يراها كل الناس . بل ان كل مـــن صادفهم حتى الان كانوا يمعنون النظر فيه كما لو لم يكن لديهم مـا يشغلهم الا هذا . خاطب نفسه قائلا : اليس هذا بفعـل الوهـــم ؟ اهو حقيقـة ؟

واخيرا خطرت له فكرة جديدة : ان يلقي بتلك الاشياء في مكان ما من « النيفا » ! فهناك سيكون الازدحام اقل ولن يلاحظ فعلتـــه احد وستكون العملية اسهل لانها بعيدة عن مكان الحادث . ادهشه ان يكون قد امضى اكثر من نصف ساعة فريسة للقلـق والاضطراب وهو يطوف في تلك الامكنة الخطيرة : كيف يضيع مثل هـذا الوقت الثمين محاولا تنفيذ مشروع جنوني بدا له خلال فترة ذهوله وهذيانـه امس ؟ لا شك انه اصبح ساهما شديد النسيان وهو يشعر بذلك .

توجه نحو نهر « النيفا » مجتازا شارع « ف » ... وفي الطريق خطرت له فكرة اخرى : « لماذا في « النيفا » ؟ لم القي بهذه الاشياء

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الى الماء ؟ او ليس من الاصوب ان امضي الى اي مكان آخر بعيدا عن هنا ولنقل الجزر مثلا ؟ لسوف ابحث هناك عن مكان قصي منعزل في حرش مثلا او تحت شجرة ، وسأدفن كل هذه الاشياء بعد ان اميز الشجرة التي اخفي كنزي تحتها ؟ » وعلى الرغم من ايمانه بان حالته لا تسمح له بالحكم على الاشياء حكما مدروسا قويا ، الا ان تلك الفكرة بدت له قوية ومعقولة .

بيدَ انه لم يبلغ الجزر . ذلك انه بينما كان ينطلق من شارع (ف) ... نحو الميدان ، لمح الى اليسار ساحة محاطة بجدار من كل جهاتها ، والى يمينها مباشرة بعد باب مدخلها الرئيسي ، يرتفع جدار من الحجر المجرد لبناء ذي اربع طبقات . اما في الجانب الايسر قبالة ذلك الجدار اعتبارا من المدخل الرئيسي ، فقد قام حاجز من الخشب بطول عشرين خطوة ينعطف فجأة . كان المكان قاحلا وقد القيت فيه اشياء كثيرة مهملة : وفي صدر الساحة برزت زاوية مرآب مشيد من الحجر المتسخ ، وخمن راسكولنيكوف ان هناك في مكان ما من تلك الفسحة تقوم دكان حداد أو صانع أقفال أو عجلات بدلالة الغبار الاسود الذي ينجم عن الفحم والتي كانت الارض مغطاة به ، فهتف يقول فجأة : « هذا هو المكان المناسب حيث ينبغي ان القي فيه بما معي وانصرف» .

لم يشاهد احدا هناك ، فتخطى المدخل ولاحظ بالقرب من الباب ميزابا كالذي يشاهد مثله في أبنية المصانع والمعامل . وفي أعلى الميزاب غرست لوحة كتب عليها بالحكك : « ممنوع الوقوف هنا » . قدر راسكولنيكوف انه لن يتبادر الى ذهن اي مخلوق انه جاء الى هنا . فخاطب نفسه قائلا : « سوف اتخلص من هذه الاشياء دفعة واحدة هنا وسأمضي بعد ذلك »

القى نظرة اخيرة على ما حوله وهو يغيب يده في جيبه ، فلاحظ

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قرب الجدار الخارجي بين الباب والميزاب ، حجرا كبيرا يزن عشرين رطلا على اقل تقدير ، مسندا الى الجدار بمحاذاة الشارع • وكان الرصيف يأتي مباشرة وراء الجدار ، فتناهى الى اذنيه وقع خطوات • غير انه لم يرَ احدا ، وتأكد من ان احدا لن يستطيع رؤيته من الخارج الا اذا تخطى الباب ، وهذا محتمل ، لذلك فان السرعة واجبة •

انحنى على الحجر يحتضنه من أعلاه بكلتي يديه • واستنجد بكل قواه حتى ازاحه من مكانه فاذا به يخفي حفرة غير عميقة القى فيها بما في جيوبه ووضع الحافظة فوقها دون ان تمتلىء واعاد الحجر الى مكانه بعد ان سوى الارض حوله ومحا كل الاثار التي قد تشي بما فعل ، ثم القى نظرة اخيرة ليتأكد من حسن صنعه ، فرأى ان الحجر لا يكاد يبدو عليه تبدل مركزه ، وتأكد انه من المستحيل تخمين ما فعل•

خرج من الساحة واتجه نحو الميدان وهو يشعر بمثل ذلك الفرح الطاغي الذي استولى عليه منذ حين في مكتب الشرطة • هتف يناجي نفسه « لقد دفنت الادلة الجرمية فمن •• من ذا الذي يخطر له ان يبحث عنها تحت ذلك الحجر ؟ انه في مكانه منذ ان بنيت تلك الدار وسيبقى طويلا حيث هو • ولو افترضنا ان تلك الاشياء سوف تكتشف فمن ذا الذي يفكر في انا ؟ نعم لقد انتهى كل شيء ولم تبق هنالك أدلة » وراح يضحك وقد تذكر فيما بعد أنه ضحك بعصبية ضحكة طويلة مكتومة ، وانه لبث يضحك طوال الوقت الذي استغرقه في اجتياز الميدان • ولما بلغ الى شارع « ك » ••• حيث التقى اول امس بتلك الفتاة المخمورة ، بتر ضحكته بل انها تلاشت وحل محلها تفكير من نوع آخر • خيل اليه فجأة انه يشعر بدافع عنيف للمرور قرب ذلك المقعد الذي كان يجلس عليه لما انصرفت الفتاة ، وخشي ان يقابل رجل البوليس ذا الشاربين الكبيرين الذي اعطاه ذلك اليوم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عشرين « كوبيكا » . وزمجر : الى الشيطان .

راح يمشي وهو يتلفت ساهما ذات اليمين وذات الشمال وتركزت افكاره كلها في نقطة رئيسية او على الاقل خيل اليه انها رئيسية . رأى نفسه في تلك اللحظة وحيدا امام تلك الفكرة الرئيسية، وحيدا لاول مرة منذ شهرين ، قال يحدث نفسه : « ليحمل الشيطان كل هذا . طالما انني بلغت هذا الحد فلابدّ حيث انا وليحمل الشيطان الحياة الجديدة ، رباه كم هو سخيف كل هذا !.. كم كذبت وتوسلت اليوم ! كم تصرفت بدناءة امام ذلك البغيض الیا بتروفيتش ! لكن ماذا يهم ؟ لست ابالي بهم لا ابالي بالتذلل الذي بدا علي امامهم . ليس هذا ما يشغلني . طبعا ليس هذا » .

توقف فجأة وقفز امام عينيه سؤال جديد كل الجدة ، غير منتظر ومع ذلك بسيط غاية في البساطة ، حيره واربكه :

« لو ان كل ما وقع وحدث كان بدافع حقيقي وليس بسخف وغباء ، لو انه كان لديك هدف واضح مسطر محدود ، فكيف لم تلق حتى الان نظرة واحدة على ما بداخل الحافظة ، كيف تجهل ما عادت به عليك فعلتك ؟ كيف سببت لنفسك كل هذه الالام وارتكبت تلك الفعلة البغيضة الشديدة النذالة ولاي سبب ؟ كيف تبادر الى ذهنك منذ قليل ان تلقي بتلك الحافظة والحلي الى الماء وانت لم تكد تمعن النظر فيها ؟ ما معنى هذا اذا ؟ »

هذه هي النقطة الرئيسية التي تركز فيها السؤال المحير الاليم . كان يعرف سلفا انه حق وان السؤال لا يحمل شيئا جديدا يجهله : قرر التخلص من تلك الاشياء في الليلة الفائتة بالقائها الى الماء وكان يود لو نفذ ذلك دون تردد ولا امهال . ولكن كيف اذا وجب عمل ذلك ــ وانه لواجب ــ كيف اذن فعل ما فعل ؟.

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان يعرف كل هذه الاشياء ويتذكرها ، ان تلك الفكرة ــ فكرة التخلص من هذه الاشياء ــ راودته في ذات اللحظة التي كانت يده تمتد فيها الى صندوق العجوز القتيل تفتشه ؟ ..

ناجى نفسه بقوله : « ان السبب في كل ذلك هو المرض ، انني اعذب نفسي واكثر من ايلامها ولست ادري ماذا اعمل ... كذلك كنت أمس وأمس الاول وكل الوقت الذي كنت أتعذب فيه ... أما عندما اشفى ، فسأتخلص من هذه الالام ! لكن ماذا يحصل لو انني لم اشف ؟ رباه كم ارزح تحت كل هذه الاعباء ! »

كان يمشي دون توقف وكان مشوقا الى الترقيه عن نفسه بأي شكل كان ، لكنه ما كان يدري كيف السبيل الى ذلك . كان هناك شعور غامض يشق طريقه الى رأسه ، شعور بالاشمئزاز نحو كل ما يحيطه وكل ما يصادفه في طريقه . شعور عميق وحشي حقود ، كان المارة يبدون امامه بشعين بوجوههم وتصرفاتهم وحركاتهم يثيرون اشمئزازه . حتى لو ان احدا خاطبه لبصق في وجهه او لعضه باسنانه.

توقف فجأة عندما اشرف على رصيف نهر « النيفا » الصغير في جزيرة « سان بازيل » بالقرب من الجسر واذا به يحدث نفسه بقوله : « هنا يقطن في هذه الدار ... لكن ما معنى هذا ؟ ها قد جئت الى حيث يقطن «رازوميخين» رغما عني ... ان قصة امس تتكرر اليوم.. ان هذا غريب . اتراني جئت متعمدا ام هكذا صدفة ؟ مع ذلك لا بأس لقد كنت اقول منذ ثلاثة ايام انني سأزوره بعد « الصفقة » والان وقد تمت فسأذهب اليه . ام هل تراني لا استطيع زيارة احد ! »

صعد الى الطبقة الخامسة حيث يقطن (رازوميخين) وكان هذا في غرفته مشغولا بالكتابة فجاء يفتح له الباب بنفسه والتقى الصديقان اللذان لم يلتقيا منذ أربعة شهور . كان رازوميخين مرتديا معطفا منزليا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

باليا تماما وقد وضع قدميه العاريتين في حذاء خفيف وترك شعره مشعثا : كانت لحيته مهملة ووجهه غير مغسول . ارتسمت آيات الدهشة على ذلك الوجه وهتف وهو يصعد صاحبه بنظرة من رأسه حتى قدميه :

ـ كيف ! هذا انت ؟..

ثم اطلق صفيرا من شفتيه وهتف :

ـ كيف حدث ان وقعت في مثل هذا العوز ؟ لعمري ان «اناقتك» تفوق « اناقتي » .

وراح ينظر الى اسمال راسكولنيكوف ويقول :

ـ ولكن هلا جلست ؟ انك تبدو تعبا .

تهالك راسكولنيكوف على « ديوان » تركي مغطى بقماش مشمع يفوق بالقدم ذلك الذي في حجرته بينما اقترب رازوميخين منه وهو يقول :

ـ اتدري انك مريض جدا ؟

راح يجس نبضه . فانتزع راسكولنيكوف يده منه بحركة عنيفة وصاح :

ـ لا تتعب نفسك . لقد جئت ... اليك السبب ... لم يعد عندي دروس ... فأردت .. مع ذلك لست في حاجة الى دروس .

هتفت رازوميخين وهو يحدق في وجهه :

ـ لكن ... ماذا دهاك ؟ انك تهذي !..

استوى راسكولنيكوف واقفا ! لم يكن قد فكر ـ عندما صعد الى مسكن رازوميخين ـ في انه سيقابله وجها لوجه . اما وقد وقعت التجربة الان ، فقد شعر بانه لا يستطيع بعد هذه اللحظة ان يلتقي باي كان ، وان لقاء الناس يؤلمه ويزعجه . وثارت في نفسه غضبة عنيفة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وكاد ان يختنق من الانفعال لمجرد دخوله بيت رازوميخين ! وفجأة قال:

ـ الوداع ... وقصد الى الباب .

ـ لكن ابقَ ... ويحك ابقَ ... يا لك من شاذ !

فأجاب راسكولنيكوف وهو يخلص يده من يد صديقه :

ـ ليس بي ما يغريني بالبقاء !

ـ اذا ؟ لم جئت ... هل انت مجنون ؟.. هيا .. انك بذلك توجه الي نوعا من الاهانة ! لن ادعك تخرج هكذا ...

ـ حسنا ... ! لقد جئت اليك لانني لا اعرف احدا يستطيع مساعدتي سواك . هذا أولا .. ولانك أحسن من الباقين دون استثناء واقصد اكثرهم ذكاء وانك تستطيع ان تحكم .. اقصد ..! ولكنني الان لست في حاجة الى شيء . لقد اكتشفت ذلك فجأة فهل تسمع ؟ لا شيء مطلقا : لا خدمات ولا تودد من احد ! انا وحيد ويكفيني هذا فدعني هادئا ...

ـ لكن تريث ! تريث دقيقة ! يا لك من مغفل ! نعم هذا رأيي ولن تستطيع ابداله . استمع الي قليلا : ليست لدي دروس ولا يهمني ذلك . انما لدي في « سوق البراغيث » كتبي يدعى « خيروفيموف » وهو يساوي اكثر من درس ! ولن ابدله لقاء خمسة دروس تعطى الى عند التجار ! انه يهيء وينشر كتبا في العلوم الطبيعية يتخاطفها الناس كما يتخاطفون الخبز ! والعنوان وحده مسألة قائمة في حد ذاتها ! انت تدعي دائما بأنني سخيف . ولكني اؤكد لك ان هناك من هم اشد مني سخفا ... ان الناشر الذي اتعامل معه قد تبع « موضة » هذا الوقت وهو شخصيا لا يعرف ال « آ » من ال « ب » وانا اشجعه في مسعاه بالطبع . خذ مثلا هاتين الورقتين الى جانب عدد من الابحاث الالمانية . انها في رأيي لون من الهذر السخيف : انهم يبحثون هنا عما اذا كانت المرأة مخلوقا انسانيا ام لا ! وبالطبع انهم يدللون اخيرا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

« وبكل فخر » على انها انسان ككل انسان ! .. ان خيروفيموف يهيء هذه الابحاث لنشر « المسألة النسائية » التي هي حديث الساعة؟ وانا الذي أترجم له وهو بدوره سيضخم هذه الوريقات حتى يضاعفها ويجعلها ستا، وعندئذ سنطلق عليها عنوانا مثيرا سيحتل نصف الصفحة الاولى وسنبيع النسخة الواحدة بخمسين « كوبيكا » ! ولسوف تكون رابحة . انني اتقاضى ستة روبلات لقاء كل صفحة ترجمة وقد دفع لي ستة روبلات مقدما ... وعندما نفرغ من هذا العمل سوف نترجم موضوعا آخر يتعلق بالحوت . وقد لاحظنا في الجزء الثاني من « الاعترافات » (١) مجموعة من الاقاصيص والروايات ولسوف نترجمها كذلك رغم انها لون من الازعاج المحسوس ! وقد صرح بعضهم لخيروفيموف ان « روسو » يشبه في عقليته واتجاهه « راديشتشيف » ! وانا بالطبع لا اناقشه ولا اناقضه وليذهب الى الشيطان .

هيا ... هل تريد ان تترجم الورقة الثانية التي تبحث في : « هل المرأة مخلوق انساني ؟ » اذا راق لك ذلك فخذها على الفور وخذ بعض الاقلام والورق وكل هذا على حساب « السيد » واقبل مني هذه الروبلات الثلاثة ! وبما انني تقاضيت سلفة لترجمة الورقتين الاولى والثانية ، فيكون نصيبك ثلاثة روبلات لترجمة الورقة الثانية ومتى فرغت منها فستتقاضى ثلاثة روبلات اخرى . آه . ارجوك لا تتصور انها خدمة اقدمها لك بل على العكس . لقد ادركت عندما رأيتك تدخل انك ستكون ذا نفع عميم لي ، فأنا اولا سيء الحظ وثانيا ضعيف في اللغة الالمانية لدرجة انني اخترع اختراعا بين الحين والحين ويعزيني ان ما اضيفه من عندي خير من المكتوب في الوريقة ! لكن من يدري ؟

---

(١) كونفيسيون : مجلة فرنسية Confessions مثيرة المترجم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قد يكون ما « اخترعه » اسوأ مما اقدر بل قد يكون سيئا للغاية • والان هل تقبل ؟ نعم ام لا"؟

اخذ راسكولنيكوف اوراق الموضوع الالماني وخرج دون ان يفوه بكلمة و « رازوميخين » ينظر اليه حائرا لتصرفه • ولما بلغ زاوية الشارع الاول ، عاد فجأة من حيث اتى ، وصعد الى مسكن رازوميخين فوضع الاوراق والروبلات الثلاثة ثم خرج بصمت كالمرة السابقة !

صاح رازوميخين وقد بان عليه الغضب :

ـ ما هذا انها الحمى « الساخنة » ولا شك • هل تمثل دورا ؟ انك تفقدني صوابي • يا للشيطان ! لِمَ عدت ؟

فتمتم راسكولنيكوف وهو يهبط السلم :

ـ لست في حاجة الى ••• ترجمات ••

ـ اذاً ماذا تبغي ؟

فلم يجبه راسكولنيكوف بل استمر يهبط بصمت •••

ـ اسمع !•• اين تقطن ؟

ولما لم يتلقَ جوابا هتف معقبا :

ـ حسنا ••• اذهب الى الشيطان !

حينما بلغ راسكولنيكوف جسر « نيكولا » اتيح له مرة اخرى ان يستعيد شعوره • كان ذلك اثر حادث مزعج وقع له • ذلك ان سائقا كان يقود عربة خاصة لسعه بسوطه لسعة قوية جعلته يقفز قفزة كبيرة نقلته حتى حاجز الجسر ! لقد نبهه الرجل ثلاثا دون جدوى فعمد الى هذا التنبيه العملي ، لانه كان يسير في منتصف الجسر حيث لا ينبغي ان تكون العجلات والبهائم • صرف على اسنانه حانقا متألما بينما تعالت حوله الضحكات والسخريات •

ـ لقد احسن صنعا •••

ـ لا بد وانه نشال مأفون !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ يا للخبيث ! انه يتصنع الثمل ويرمي بنفسه بين قوائم الخيول ليطالب بتعويضات !

ـ انها تجارة مثل غيرها !

وبينما هو بالقرب من الحاجز يصغي الى تلك الاقوال الساخرة ويتابع العربة بنظرة حانقة مخبولة ، اذ شعر بيد تلمس يده فيها نقودا • وزأى سيدة متقدمة في السن قليلا قدر انها من طبقة التجار ، ملتفة بحرملة والى جانبها فتاة تحمل مظلة خضراء لا شك انها ابنتها • كانت السيدة تقول له :

ـ « اقبل مني هذا الاحسان باسم المسيح ! » •

فأخذ المال وتابعت السيدتان سيرهما • تأكد لديه ان مظهره الخارجي اوحى لهما بانه واحد من اولئك المتسولين او محترفي التسول الذين يعمدون الى حيل لاستدرار شفقة الناس ••• وها هو يملك عشرين كوبيكا والفضل في ذلك يعود الى تلك الضربة التي نالته من سوط سائق العربة ، تلك الضربة التي حركت الشفقة في نفس السيدة •

اطبق يده بشدة على النقود التي فيها وسار بضع خطوات ثم استدار في مواجهة النهر باتجاه القصر • كانت السماء صافية لا سحاب فيها والمياه زرقاء غير كدرة وهو امر نادر بالنسبة الى نهر « نيفا »••• وكانت قبة « الكاتدرائية » ـ وهي لا تبدو واضحة المعالم اكثر من تلك البقعة فوق الجسر ـ تلتمع وتتألق في هذا الجو الصافي الرائق حتى ليستطيع الناظر اليها تعداد كل خطوطها وزخرفتها • شعر راسكولنيكوف بهدوء في نفسه ناسيا الالم الذي خلفته لسعة السوط وراح ينظر الى تلك الاماكن التي كانت مألوفة لديه بشكل خاص • كيف لا وهو الذي وقف مئات المرات حيث هو ـ حينما كان يرجع من الجامعة في طريقه الى البيت ـ يتأمل تلك المناظر البهيجة البديعة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يغمره شعور غريب • كان ذلك المشهد يثير في نفسه فكرة جامدة غير مفهومة اذ كان يخيل اليه ان كل هذه الابهة ومظاهر العظمة كانت محرومة من النشاط او على الاصح من الروح ! وكانت تلك الفكرة تدهشه فهي غامضة حزينة لم يجد لها تعليلا • اما الان فقد بدا له ان تلك الاسئلة التي كان يبحث عن اجوبة لها وذلك الشعور الغريب الذي كان يعتوره قد اصبحت جميعها واضحة الخطوط • وبدت له غرابة الصدف في وقوفه في تلك اللحظة بالذات في ذلك المكان بالذات ناظرا الى تلك المناظر بالذات التي كان يتأملها من قبل لما ان كان في الجامعة وكأنه يرجو ان يشعر بمثل الشعور الذي كان يحس به من قبل • بدا له كل ذلك مضحكا وانتهى بأن احس بفوق تعتصر قلبه فيقطر الما • ادرك ان ماضيه وافكاره واحساساته ووجهات نظره التي كان يحس بها من قبل ، مفروشة تحت قدميه بل غارقة في جرف سحيق ليس له قرار • والى ذلك الجرف السحيق انحدرت روعة المناظر التي بدت لعينيه ثم تبعها هابطا ••• شعر كأنه حلق الى ارتفاعات سامقة حتى اختفت كل المعالم عن ناظريه ! وتحركت يده حركة آلية فأحس بالنقود التي فيها ، تأملها برهة ثم طوح بها الى الماء ! وعندئذ دار على عقبيه وعاد الى البيت وهو يشعر بانه في تلك اللحظة قد قطع آخر رباط يصله بالعالم الحي !

بلغ مسكنه مساء بعد ان انقضت ست ساعات منذ ان بارحه ! اما كيف واي سبيل سلك فانه ما كان ليستطيع الجزم في معرفته ! خلع ملابسه وارتعد كالحصان الحرون ثم استلقى على « الديوان » متدثرا وغط في نوم عميق !

استيقظ فجأة في الظلام الدامس اثر صرخة مريعة صكت سمعه• صرخة لم يكن قد رأى او سمع بمثلها من قبل ، صرخة رافقتها زمجرة ونحيب وضربات ولعنات فظيعة لم يعهد مثلها من قبل • لم يفكر او

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يتصور وجود مثل هذه الوحشية والضراوة ، فروع وانتصب في « سريره » جالسا شاعرا بعذاب متزايد ينزل به ثانية فثانية . لكن الضربات والنحيب والشتائم كانت تتزايد تدريجيا ، ويا لشدة ذهوله واستغرابه حينما تعرف وسط ذلك الضجيج على صوت صاحبة مسكنه . كانت تزمجر وتزأر بصوت حاد متقطع سريع حتى انه اخفق في فهم بعض ما تقوله . غير انه خمن انها تتوسل وتستعطف لكي يكف اولئك الذين يضربونها عن عدوانهم . وكان الصوت آتيا من السلم فسمع راسكولنيكوف هدير صوت المعتدي ، كان صوته يفيض غضبا وقد استحال الى صرخات مبحوحة حتى تعذر عليه فهم شيء من حديثه اللاهث المختنق . وفجأة اقشعر جسم راسكولنيكوف : لقد تعرف على صوت الوحش الضارب ... كان اليا بتروفيتش : « ترى ماذا يفعل اليا بتروفيتش هنا ولم يضرب صاحبة الدار ؟ من الواضح انه كان يركلها بقدميه ويضرب رأسها على درجات السلم ..! كان يمكن تخمين ذلك من بكاء المرأة وصوت الضربات فماذا حدث يا ترى هل انقلبت الاوضاع في العالم ؟ »

هرع السكان الى السلم وارتفعت اصواتهم مستنكرة ثم ارتفع صوت اقدام صاعدة وابواب تصفق وخطى متلاحقة .. « ترى لِمَ كل هذا ؟ لم ؟ كيف يمكن ان يحدث امر كهذا ؟ »

كان راسكولنيكوف وهو يطرح على نفسه مثل هذه الاسئلة يعتقد مخلصا انه قد جن لولا انه كان يسمع بجلاء كل هذا الضجيج . وفجأة خيل اليه انهم آتون الى غرفته فغمغم يحدث نفسه :

« رباه انهم صاعدون ! اذا كل هذا بسبب مسألة البارحة » واراد ان يغلق الباب بالمزلاج لكن يده لم تطعه وشعر بعقم هذه المحاولة وبألم يعذب روحه ويسحق عظامه . انقضى الوقت بطيئا قاتلا ومضت دقائق دون ان يحدث شيء وهدأت الاصوات بالتدريج وتناهى الى

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

سمعه صوت صاحبة الدار تزمجر وتنتحب وصوت الیا بتروفیتش یهدد ویشتم ثم اختفت الاصوات نهائیا وران السکون فتمتم قائلا : رباه ! هل ذهبوا حقیقة ؟ لا شك في ذلك وها ان صاحبة الدار تذهب الى شقتها باکیة منتحبة ! ها انها تغلق باب الشقة بعنف وصخب والناس ینفرقون ویخلون السلم لیدخل کل منهم الى مسکنه ، وهم یتناقشون ویتنادون بصیحات مرتفعة او یتحادثون بما یشبه الدمدمة • کان یبدو انهم عدیدون کما لو ان کل السکان قد هرعوا الى مکان الحادث • فلبث یتساءل عبثا عن السبب •

خارت قوی راسکولنیکوف اخیرا وتهاوی من جدید ولکن النوم ابی ان یداعب عیونه فبقي نصف ساعة ممددا فریسة الالم ، الم عنیف لا یحتمل والشعور بالرعب لم یحس بمثله من قبل ، وفجأة انبثق نور في حجرته ورأی ناستاسیا داخلة تحمل شمعة موقدة في احدی یدیها وآنیة حساء في الاخری • نظرت الیه بانتباه ولما رأته مستیقظا وضعت « الشمعدان » علی الطاولة وراحت ترتب الاشیاء التي تحملها: الخبز والملح والطبق والملعقة وهي تقول :

ــ انه لم یأکل شیئا منذ امس ، مع ذلك فقد راح یجر اسماله طوال النهار وهو مصاب بهذه الحمی العنیفة •

ــ ناستاسیا ••• لِمَ ضربوا السیدة ؟

فنظرت الیه بدهشة وقالت :

ــ من الذي ضرب السیدة ؟

ــ منذ حین ، منذ نصف ساعة • ایلیا بیتروفیتش ، مساعد رئیس الشرطة ••• علی السلم • لِمَ عاملها بهذه الخشونة ؟ بل ولم جاء الی هنا ؟

حدقت ناستاسیا في وجهه طویلا وقطبت حاجبیها ولزمت الصمت • شعرت بنوع من الارتباك بل ومن الخوف • بینما استمر

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

راسكولنيكوف يقول بصوت ضعيف خائر :

ـ ناستاسيا لِمَ لا تتكلمين ؟

فتمتمت وكأنها تحدث نفسها :

ـ هذا هـو الدم .

فشحب لونه وتقهقر حتى التصق بالجدار وهتف :

ـ الدم ؟... اي دم ؟...

نظرت اليه ناستاسيا بصمت وأخيرا قالت بصوت ثابت وبلهجة جـدية :

ـ لم يضرب السيدة احد .

فنظر اليها وهو يكاد يختنق وقال :

ـ لقد سمعت بنفسي .. لم اكن نائما .. كنت جالسا .. لقد سمعت طويلا . ان مساعد مدير الشرطة كان هنا على السلم ... وكل السكان قد هرعوا وغادروا مساكنهم .

ـ لم يأتِ احد انما هو الدم يصرخ فيك ... اذ انه عندما لا يجد مخرجا يهاجم الكبد ويجعلك تتصور مثل هذه الاوهام . والان سوف تأكل ، أليس كذلك ؟...

لم يجب وظلت ناستاسيا بالقرب منه صامتة تحدق في وجهه متفحصة .

ـ ناستاسيا .. اريد ان اشرب ...

غادرت الحجرة وعادت اليه بعد دقيقتين تحمل ماء في ابريق من الفخار الابيض لكنه لم يذكر ما وقع له بعد ذلك . تذكر فقط انه ابتلع جرعة من الماء البارد وصب محتويات الابريق على صدره ثم فقد الوعي .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٣

استمر مريضا زمنا طويلا لكنه لم يفقد خلاله حاسة التفكير تماما فكانت حاله منقسمة بين هذيان الحمى والشرود الذهني • تذكر فيما بعد انه كان يحس احيانا بجمع غفير من الناس التفوا حوله يريدون انتزاعه وحمله الى مكان ما وهم يتناقشون بصدده ويتشاجرون واحيانا اخرى يجد نفسه وحيدا في غرفته وقد بارحها الناس لانهم خافوا منه ، فكانوا من حين الى آخر يواربون الباب قليلا لينظروا اليه ويهددوه او يستهزئوا به مستثيرين غضبه • وتذكر كذلك ان ناستاسيا كثيرا ما كانت تجلس قرب سريره كما لاحظ رجلا غريبا لم يستطع معرفته ولا تحديد مهمة يشاطرها زياراتها الامر الذي احزنه حتى ان الدموع كادت ان تطفر من عينيه •

كان يخيل اليه احيانا انه امضى اكثر من شهر في سريره ، واحيانا اخرى ان كل شيء قد تم في بحر يوم واحد • لكن « ذلك الشيء » نعم ذلك الشيء كان قد نسيه تماما ؛ وان كان يشعر في قرارة نفسه انه افتقد امرا لا يجد في نفسه القدرة على استعادته ، فكان يتألم ويتعذب ويزفر ويثور لمجرد تفكيره في هذا العجز ثم يذهل ويغيب عن الوعي • واذا استفاق بعدئذ كان ينهض محاولا الفرار والابتعاد عن السرير فيشعر بأيد تعيده اليه بالقوة فيعود الى غيبوبته •

أمضى زمنا طويلا على هذا المنوال ؛ ولما صحا ذات يوم ــ وكان ذلك في الساعة العاشرة ، والطقس والشمس تغمر الجدار الأيمن باشعاع ضوئي بديع فتنير الزاوية القريبة من الباب ــ راى ناستاسيا جالسة بالقرب من سريره مع رجل لم يكن يعرفه كان يرقبه بفضول ، وصاحبة المسكن تنظر اليه خلال الباب الموارب • كان ذلك الغريب شابا مرتديا قفطانا ، ذا لحية صغيرة مدببة يشبه الجباة في مظهره • تناهض

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

راسكولنيكوف وسأل مشيرا الى الشاب :

من هذا يا ناستاسيا ؟

ـ هيه ؟ لقد عاد الى وعيه ...

ـ شعرت صاحبة الدار ان المريض قد استعاد قواه فأغلقت الباب الموارب واختفت فورا لانها كانت امرأة شديدة الخجل ترهب المناقشات والاستفسارات . كان لها اربعون عاما وكانت سمينة منتفخة ذات عينين سوداوين يعلوهما حاجبان بلونهما ، طيبة في كل شيء : بكسلها وكرمها ، مضيافة ، مفرطة في الخجل ؟

عاد راسكولنيكوف يستفسر موجها حديثه الى الغريب مباشرة :

ـ من ... أنت ..؟

وفي تلك اللحظة فتح الباب ودخل رازوميخين وهو يحني قامته قليلا بسبب طولها ، هتف وهو يلعن :

ـ يا له من كوخ ! دائما يصطدم ابدا بالسقف ومع ذلك فهم يطلقون عليه اسم مسكن ... اذاً يا اخي فقد عدت الى وعيك ... لقد علمت بذلك تو ...

قالت ناستاسيا :

ـ لقد استعاد صوابه تو ...

وقال الغريب الذي يشبه الجباة في هيئته بصوت مجلجل وهو يبتسم :

ـ لقد عاد اليه وعيه .

تذكر راسكولنيكوف ان سؤاله الذي وجهه الى ذلك الغريب لم يحظَ بجواب بعد ! وشعر رازوميخين برغبة صديقه فسأل :

ـ ولكن انت ... من انت ؟ فأنا مثلا اسمي رازوميخين وانا طالب مفضال مهذب وهذا صديقي . اما انت فمن تكون ؟

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ انا مستخدم لدى التاجر « شيلوباييف » وقد جئت هنا لحاجة .

فقال رازوميخين :

ـ حسنا ، تفضل بالجلوس على هذا « الكرسي » . واستوى بنفسه جالسا على المقعد الاخر بجانب المائدة . وخاطب راسكولنيكوف بقوله :

ـ يا صديقي العجوز ، أحسنت صنعا اذ استعدت حواسك. فمنذ اربعة ايام ـ كما قيل لي ـ لم تأكل ولم تشرب شيئا باستثناء ما كان يصب في فمك من قطرات الشاي بواسطة الملعقة . ولقد اتيتك مرتين بـ « زوسيموف » . انت تذكر زوسيموف ؟ لقد عاينك بدقة وصرح ان الامر ليس خطيرا وان حالك تشبه بكل بساطة حال الذي تلقى ضربة من مطرقة . اي ـ كما اكد ـ انك تشكو من ضعف عصبي نتيجة لسوء التغذية . اما المرض نفسه فبسيط يمكن الشفاء منه بسهولة . ان زوسيموف حجة لا يبارى وهو يعود عددا من المرضى الخطرين . ثم استدار نحو المستخدم وقال :

ـ لا احب استبقاءك كثيرا ... فتفضل اذا اردت باطلاعنا على سبب زيارتك . لاحظ يا روديا ان هذه هي المرة الثانية التي يبعث صاحب ذلك المخزن برسل من لدنه . ففي المرة الاولى كان واحدا غير هذا ، فمن الذي جاء في المرة الاولى ؟

فأجاب المستخدم :

ـ لعلك تقصد الذي جاء منذ ثلاثة ايام . انه مستخدم مثلي واسمه : الكسيس سيميونوفيتش .

ـ ان لسانه على الاقل اطول من لسانك فما رأيك ؟

ـ نعم انه رجل اكثر كفاءة مني .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ليس لنا الا ان نهنئك ... هيا استمر .

ـ حسنا . هذه هي الحكاية : ان لدينا حوالة من والدتك ارسلت بواسطة المدعو آتاناس ايفانوفيتش فاكروشين الذي اعتقد انك سمعت عنه . وانني مكلف بان اقدم لك مبلغا قدره خمسة وثلاثون روبلا هي ما اخذه سيمون سيميونوفيتش من امك واعتقد انك مطلع على مجرى الامور .

كان هذا الكلام موجها الى راسكولنيكوف جوابا على سؤال صديقه فتمتم هذا بصوت حالم :

ـ آه ... فاكروشين . نعم اذكر .

هتف رازوميخين قائلا :

ـ هل تسمع ؟ انه يعرف التاجر فاكروشين . وكيف لا يعرفه ؟ ثم انني الاحظ انك انت الاخر ذو لسان طويل ... هيا لا تبتئس . انه لذيذ دائما ان يستمع الانسان الى محاضرات حكيمة ! استمر ...

ـ حسنا . بالضبط ان هذا الـ «فاكروشين اتاناس ايفانوفيتش» هو الذي توسط في المرة الاولى بناء على رجاء والدتك في ارسال نقود اليك ولم يحجم هذه المرة بالمثل عن ابلاغ سيميون سيميونوفيتش بوجوب دفع خمسة وثلاثين روبلا اليك بانتظار ما هو احسن .

هتف رازوميخين :

ـ لعمري ان هذا الـ « بانتظار ما هو احسن » هي اجمل ما خرج من فمك ولقد نطقها بسهولة لا يماثلها في الجمال الا قولك « بناء على رجاء والدتك » والان ماذا تعتقد هل هو مالك قواه ؟ نعم او لا ؟

ـ بالنسبة الي انه ككل اولئك الذين يوقعون لدينا عند القبض .

ـ اذا سوف يحسن التوقيع « الشخبرة » هل معك الدفتر ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ الدفتر ؟ ها هو ذا .

ـ هاته . هيا يا روديا انهض قليلا . سوف اسندك بينما تكتب لههنا : راسكو لنيكوف . خذ القلم بيدك يا صديقي . اننا في شديد الحاجة الى المـال .

هتف راسكولنيكوف وهو يدفع القلم بعيدا :

ـ لا حاجة بي الى المال .

ـ اذا ماذا يلزمك ؟

ـ لن اوقع هذا الايصال .

ـ لكن يجب ان تعطي ايصالا .

ـ لست في حاجة الى النقود .

ـ لست في حاجة الى النقود ؟ اسمع يا صديقي انت تكذب وانا شاهد على ذلك ! ثم استدار الى المستخدم وقال : لا تبتئس . انـه يهزر . ثم ان هذا مألوفا لديه في حال اليقظة الكاملة وانت رجـل عاقل . لسوف نسير يده ليستطيع التوقيع فهيا بنا نتعاون .

ـ على كل حال انني استطيع العودة مرة اخرى .

ـ كلا ! كلا ! لم تزعج نفسك؟ انت رجل معقول ... هيا يا روديا لا تؤخر هذا الزائر . الا ترى ؟ انه ينتظر ...

امسك بيد راسكولنيكوف ليساعده على التوقيع . فهتف هـذا قائلا :

ـ دعني سوف اوقع بنفسي . ثم اخذ القلم وكتب اسمـه في الدفتر فسلمه المستخدم المال وانسحب .

ـ مرحى ! الا تأكل الان يا صديقي ؟

فأجاب راسكولنيكوف :

ـ بلى .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

سأل رازوميخين الخادمَ قائلا :

ــ هل لديكم حساء ؟

فأجابت ناستاسيا وقد حضرت المنافشة من أولها :

ــ نعم لدينا من بقايا البارحة .

ــ هل هو حساء بالارز والبطاطا ؟

ــ نعم بالارز والبطاطا .

ــ كنت اخشى ان لا يكون كذلك ... الينا بالحساء واعطنا شايـــاً .

كان راسكولنيكوف يرقب ما يجري بدهشة عميقة ورهبة متلبدة وقد استصوب الصمت وانتظار ما سيحدث . قال مخاطبا نفسه : « يخيل الي انني لست واهما بل ان هذا يبدو واقعيا » .

استغرقت مهمة ناستاسيا دقيقتين عادت بعدهما بالحساء والشاي. كانت تحمل ملعقتين وطبقين وما يلزم مائدة الطعام من ملح وبهـــار وخردل مما لم ير راسكولنيكوف ترتيبا مثله من قبل ، بل انها كانت تحمل ايضا غطاء مائدة نظيف .

قال رازوميخين :

ــ يحسن بـ « براسكوفي بافلوفنا » ان ترسل الينا قدحـــين من الجعة وسنشربهما باستمتاع يا ناستاسيا .

فغمغمت الخادم :

ــ لعمري انك تعنى بنفسك ... ومضت تنفذ الامر .

استمر راسكولنيكوف يحدق فيما حوله بذهوله المعهود لكنـه لم يخل هذه المرة من اهتمام ملموس . بينما جلس رازوميخـين الـى جانبه على « الديوان » وراح يرفع رأسه بحركة غير حاذقة فأستدها ذراعه ثم بدأت يده اليمنى بعد ذلك تسعى بيـن انـاء الحسـاء وفـم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

راسكولنيكوف مرات وهو يستوقف الملعقة أمام فمه كل مرة لينفخ عليها خشية أن يكون الحساء ساخنا فينزعج المريض • وكان الحساء باردا تقريبا ، غير ان ذلك لم يمنع راسكولنيكوف من التهام ملء ملعقة وتكرار ذلك مرات • وفجأة توقف رازوميخين عن اداء مهمته وصرح بانه يجب استشارة زوسيموف الآن !

دخلت ناستاسيا في تلك اللحظة حاملة زجاجتين من الجعة وضعتهما على الطاولة فسأل رازوميخين راسكولنيكوف قائلا :

ـ أترغب في شرب قليل من الشاي ؟

ـ نعم •

فصاح بناستاسيا قائلا :

ـ اجري فورا وائتني بالشاي يا ناستاسيا • انني أعتقد اننا نستطيع الاستغناء عن رأي كلية الطب بصدد الشاي •• آه ! ها هي الجعة ايضا •

جلس رازوميخن على كرسيه وراح يفتك باللحم فتكا ذريعا وكأنه لم يقرب الطعام منذ ثلاثة ايام • وكان يحدث راسكولنيكوف على قدر ما يسمح به فمه الممتلىء ويقول :

ـ يا صديقي العجوز روديا انني أطعم منذ ثلاثة أيام على حساب السيدة باشانكا وهي تعني بي خاصة ! انني لا ارى مانعا من مصارحتك بانني لا احتج ولا اعترض على عنايتها بي • ولكن ها هي ناستاسيا وقد جاءت بالشاي انها تحسن التدبير • حسنا هل ترغبين في قدح من الجعة يا ناستاسيا ؟

ـ يا لك من ماكر ممازح !

ـ اذا من الشاي •

ـ اما هذا فنعم •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ حسنا قدمي لنفسك . بل انتظري سأقوم أنا على خدمتك . اجلسي الى المائدة .

وقام فورا بواجب رب الدار كأحسن ما يكون، فملأ القدح الأول ثم قدحا ثانيا وترك طعامه وعاد يجلس على الديوان قرب صديقه . وللمرة الثانية مد ذراعه اليسرى الى رأس راسكولنيكوف يرفعها ثم راح يسقيه الشاي بالملعقة وهو ينفخ عليها لتبرد ، وكأنه بذلك يساهم في شفاء المريض مساهمة فعلية .

أما راسكولنيكوف فكان صامتا لا يبدي مقاومة رغم شعوره بقدرته على الحركة واستعمال يديه بما يكفي للامساك بملعقة وقدح بل لعله كان يستطيع المشي ، لكنه عمد بمكر حيواني الى اخفاء طاقته وقواه منصنعا البله والذهول مراقبا بنفس الوقت ما يحدث ومفكرا بامعان فيما يرى . وبعد ان جرع محتويات الملعقة العاشرة ، حرر رأسه من ذراع صديقه ودفع الملعقه بطيش ثم ترك رأسه تهوي على « الوسادة » وشعر بأنها وسادة حقيقية يكسوها غطاء نظيف مما ضاعف في حيرته .

تمتم رازوميخين وهو يعود الى مجلسه الاول فيأكل ويشرب الجعة :

ـ ينبغي أن ترسل باشانكا اليوم أيضا لمربى التوت لنهيئ شرابا للمريض .

فسألت ناستاسيا وهي تمسك قدحا بأصابعها الخمس وتمتص الشاي على قطعة السكر التي في فمها :

ـ ومن اين تأتي بالتوت ؟

ـ انه شائع وموجود في كل البقاليات يا عزيزتي . الا ترى يا روديا ؟ لقد وقعت هنا حكاية لم تطلع على تفاصيلها بعد : عندما

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قررت كالنشال في ذلك اليوم من مسكني دون ان تطلعني على عنوانك، غضبت غضبا شديدا وقررت انابحث عنك لاؤدبك. فشرعت اطاردك منذ ذلك اليوم وانا ابحث هنا وهناك ناسيا انك تقطن هنا . خصوصا وانني ما كنت استطيع ان اذكر هذا لانني ما كنت اعرفه . اما مسكنك الاسبق فكنت اعرف انه في « الزوايا الخمس » « خارلاموف » . بحثت طويلا عن هذا « الخارلاموف » وظهر لي فيما بعد ان اسمه هو « بوخ » وليس خارلاموف ولكن الاخطاء شائعة في اسماء الاعلام فاستأت استياء بليغا وعدت في اليوم التالي الى مكتب الاستعلامات . تصور انني خلال دقيقتين فقط استطعت ان أحصل على عنوانك لان أسمك كان مسجلا هناك .

ـ مسجل ؟

ـ وكيف ! مع ذلك لم يستطيعوا في ذلك المكتب ان يلموا بعنوان الجنرال كوبيلبيف ليعطوه الى شخص كان يسأل عنه بحضوري ... لا اود اضاعة الوقت بالتفاصيل لذلك اقول بكلمة واحدة انني وصلت الى هنا واحطت علما بكل ما يتعلق بك . نعم بكل شيء يا صديقي . أنا أعرف كل شيء وناستاسيا تشهد على ذلك وقد تعرفت الى نيكوديم فوميتش . كذلك رأيت ايليا بيتروفيتش واتصلت بالحارس « فورنيك » وبالسيد ساميوتوف الكندر عريفورييفيتش أمين سر قسم شرطة الحي وأخيرا تعرفت الى باشانكا، وهي فضلا عن ذلك ، الباقة العطرة في هذه المجموعة ، وناستاسيا لا تجهل ذلك .

فغمغمت ناستاسيا وهي تضحك ساخرة .

ـ لقد عرفت كيف تفتنها .

ـ هيه !.. يا ناستاسيا نيكيفوروفنا ! الا تصمتين ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فانفجرت ناستاسيا ضاحكة وهتفت :

ـ ايها الحيوان . لكني بيتروفنا وليس نيكيفوروفنا .

ـ أخذنا علما بذلك . والآن يا صديقي أردت قبل كل شيء ان أدخل الكهرباء الى هنا لكي أبدل دفعة واحدة الافكار والآراء الخاطئة المتكاثفة ، لكن باشانكا انتصرت ثق يا صديقي انني ما كنت أعتقد انها بمثل ... بمثل هذا الكرم . هيه . ماذا تقول ؟

كان راسكولنيكوف صامتا لا يريم رغم انه لم يغفل لحظة واحدة عن ملاحقة رازوميخين بنظرة ثقيلة ثابتة . واستمر رازوميخين قائلا :

ـ لا اود اضاعة الوقت بمحاضرات تافهة . لذلك اقول : انها انسان كأحسن ما يكون ومن كل وجهات النظر .

كان يبدو على رازوميخين ان صمت راسكولنيكوف لم يزعجه في شيء وانه يكتفي بما كانت تثيره ناستاسيا من ملاحظات على حديثه الذي بدا وكأنه يدخل على نفسها لونا من السرور الغامض .

هتفت هذه من جديد :

ـ يا لك من حيوان !

بينما استرسل هو وكأنه لم يسمع :

ـ المؤلم يا صديقي انك لم تدرك كيف تتصرف منذ البداية . لم يكن ينبغي لك ان تعاملها هكذا ! ان ذلك ـ ماذا اقول ـ انه ... انها عقلية غريبة بيد اننا سنبحث في هذا فيما بعد .

صمت قليلا ثم اردف قائلا :

ـ خذ مثلا هذه الناحية الدقيقة : كيف جعلت الحال يصل بها الى درجة امساك الطعام عنك ؟ واكثر من ذلك ايضا تلك النتيجة!.. يخيل الي انك كنت فاقد الرشد عندما وقعت عليها ، بينما كان مشروع زواجك من الفتاة ناتالي ايبكورفنا لا زال ماثلا ! أرأيت كيف اني ملم بكل شيء ؟ انني ارى هنا حبلا حساسا وانا حمار فاعذرني ! ولكن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بما اننا نتكلم عن الحماقات فماذا تظن ؟ الا ترى ان براسكوفي بافلوفنا ابعد من ان تكون حيوانا كما يلوح للمرء للوهلة الاولى ؟

غمغم راسكو لنيكوف وهو لا يدري ايهما افضل : ان يضحك صاحبه ام ان يدعه يستمر :

ـ نعم .

فهتف رازوميخين وقد بدا عليه السرور لسماعه صوت صديقه يجيبه :

ـ أليس كذلك ؟ لكنها ليست ذكية جدا . هم ؟ لقد قلت لك ان تلك عقلية غريبة وانا من جانبي يا صديقي لا استطيع فهم شيء : فهي تشرف على الاربعين من عمرها ولا تعترف الا بست وثلاثين ولها كل الحق . ثم اقسم لك بأن حكمي افتراضي بحت لا يعتمد الا على علم « الميتافيزيك » : ان ما يحدث بيننا هو بالنسبة الي مسألة جبر لذلك فلست افهم شيئا ، وكل شيء معقد ! فهي ـ لما رأت انك انقطعت عن الجامعة وخسرت الدروس والالبسة ، وانها بعد وفاة ابنتها لم تعد تستطيع اعتبارك فردا من الاسرة ـ شعرت فجأة بالرهبة ، اما فانك بدلا من أن تستمر في حياتك كما كانت عليه في الماضي ، انقلبت فجأة . ففكرت في طردك وقد امضت زمنا طويلا تفكر في ذلك المشروع ولكنها كانت تخاف على مالها خصوصا وانك اكدت لها بان امك ستدفع .

غمغم راسكولنيكوف بصوت مرتفع واضح قائلا :

ـ لقد كنت شديد النذالة حينما قلت ذلك . لقد اصبحت امي اشبه بالمتسولات وكنت انا اكذب لكي اغريها على قبولي في المسكن واطعامي .

ـ لقد احسنت صنعا في هذا . انما المزعج انها استعانت بالسيد

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تشيباروف وهو رجل اعمال ومستشار في المحكمة العليا . ولولاه لما جرؤت « باشانكا » على تدبير شيء ضدك وهي تلك الامرأة الخجول. لكن ذلك المستشار لم يكن خجولا مثلها فكان أول ما سعى الى معرفته هو : هل من أمل في أن تحصل صاحبة المسكن على مالها ، فجاءه الجواب : نعم لان امه رغم انها لا تملك الا جراية قدرها مائة وعشرون روبلا في السنة فانها ستستغني عن الطعام لتكفل ابنها روديا وان اخته على استعداد لبيع نفسها كالرقيق اذا اقتضى الامر لتساعد اخاها . وهكذا قرر ملاحقتك . لكن ... ماذا بك ؟ اراك قد اضطربت ! هل ادركت الان انني افهمك تماما ؟ انه لم يكن عبثا ذلك الحديث الذي افضيت به الى باشانكا عندما كانت تعدك واحدا من الاسرة وقد استقيت هذه المعلومات من حديثك ذاك ... وسأقص عليك الان ماذا وقع بالضبط .. حدث انه بينما كان الرجل النبيل الحساس الذي هو انت يدلي باعترافاته كان رجل الاعمال يستعد ليفوز بحصة الاسد وهذا هو السبب الذي من اجله اعطت باشانكا السفتجة برسم القبض الى تشيباروف هذا وهو بدوره طالب بالحاح ان يسدد المبلغ فلما اطلعت على سير الامور اردت ارضاء لضميري ان ادلي بدلوي وهكذا اصبحت انعم بتفاهم تام مع باشانكا واوقفت بل وقتلت المؤامرة في مهدها مؤكدا لها انك ستدفع دونما حاجة الى هذا التدبير . هل فهمت ما اعني يا صديقي ؟ لقد كفلتك فاستدعينا تشيباروف هذا والقينا اليه روبلات ثم استعدنا منه السفتجة التي لي الشرف بأن اقدمها اليك. والان فان كلمتك هي وحدها موضع الاعتبار . خذ ، هذه هي السفتجة وقد مزقتها كما ترى بما يناسب المقام .

وضع رازوميخين الورقة الممزقة على الطاولة فنظر اليها راسكولنيكوف وفجأة استدار نحو الجدار دون ان يهمس بكلمة حتى أن رازوميخين نفسه شعر بصدمة في كرامته ، قال :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ارى يا صديقي انني ارتكبت هنا نوعا من الحماقة كما يبدو • بينما كنت اعتقد انني اسري عنك بثرثرتي فاذا بي على العكس اثير سخطك •

قال راسكولنيكوف بعد صمت دون ان يستدير :

ـ اهو انت الذي لم اعرفك في بحراني ؟

ـ نعم وحضوري كان يسبب لك نوبات وخصوصا في المرة التي اصطحبت معي فيها زاميوتوف •

ـ زاميوتوف ؟ امين سر قسم الشرطة ؟ لماذا ؟

واستدار فجأة بينما تعلقت ابصاره بوجه رازوميخين :

ـ لكن ما بال دهاك ؟ لم تثور ؟ كان يرغب في التعرف اليك وهو نفسه الذي عرض ذلك لانا تحدثنا انا وهو طويلا عنك • ولولاه لما عرفت كل هذه الامور • انه غلام شجاع ، غريب من نوعه ، سريع الفهم ، يحب الاصدقاء ، نلتقي كل يوم تقريبا حتى انني غادرت مسكني ذاك وجئت اسكن هذا الحي ولقد ذهبنا مرتين عند لويز • أتذكر لويز ؟.. لويز ايفانوفنا •

ـ هل كنت اهذي ؟

ـ وكيف ؟؟ كنت لا تملك نفسك •

ـ ماذا قلت ؟

ـ ماذا بعد ؟ ماذا قلت ؟ أن ما يقوله رجل يهذي معروف والآن لندع هذا ولنهتم بما هو اجدى • ثم نهض واخذ قبعته واراد الانصراف •

ـ سألتك ماذا قلت ؟

ـ لعمري اذا كنت تصر ! هل أنت خائف من أن تكون كشفت سرا لا تخش : انك لم تبح بشيء عن اميرتك • لكنك تحدثت كثيرا عن كلب « البولدوج » وعن اقراط للاذن وسلاسل للساعات وعن جزيرة

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

« كريستوفسكي » ثم عن حارس معين . وقد بحثت أيضا عن نيكوديم فوميتش وايليا بيتروفتش مساعده ، وأظهرت اهتماما كليا بطرفة حذائك فكنت أبدا تطلبه بأنين قائلا : « أعطوني قطعة النعل » حتى أن زاميوتوف نفسه بحث عنها في كل مكان ثم اعطاك تلك القذارة بنفسه بعد أن حملها بيديه النظيفتين البيضاوتين المعطرتين المزينتين بالخواتم وعندئذ فقط خمدت حدتك ولبثت أربعا وعشرين ساعة قابضا على تلك القذارة بيديك مطبقا عليها حتى تعذر سحبها منك ولعلها لا زالت في مكان ما تحت غطائك . كذلك كنت تطلب باصرار قطع سروالك وكنت تبكي وأنت تطالب بها ، ورحنا نتساءل عن نوع تلك القطع التي تتحدث عنها ، انما لم نفهم غايتك . على كل حال انتهى هذا الان والاهم انك تملك في هذه اللحظة خمسة وثلاثين روبلا سأحتفظ بعشرة منها وسترى بعد ساعتين ما سأكون قد عملت بها وخلال هذا الوقت سوف استشير زوسيموف الذي هو لا شك هنا منذ زمن طويل خصوصا وان الساعة الان قد جاوزت الحادية عشرة. أما أنت يا ناستاسيا فعليك بزيارته دائما خلال غيبتي ولتهتمي بشأنه فتسقيه كلما طلب وتقدمي اليه ما يريد ، وسأذهب الى باشانكا لاتحدث اليها بما ينبغي ان يكون فالى اللقاء .

خرج رازوميخين بينما راحت ناستاسيا تقول :

ـ انه يناديها باشانكا با له ، من مهرج !

ثم نهضت واصاخت السمع ولم تستطع مقاومة فضولها فاندفعت تهبط السلم في اثره لتنصت الى الحديث الذي سيدور بينه وبين سيدتها التي كانت ولا شك مفتونة به .

لم تكد ناستاسيا تخرج بدورها حتى القى المريض غطاءه فجأة وقفز كالمجنون مبارحا السرير . لكن ما هي تلك المهمة؟ ها هو ذا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قد نسيها ! فراح يتمتم : « يا الهي ! وددت لو عرفت شيئا شيئا واحدا هل يعرفون كل شيء او لا يعرفون شيئا ؟ لعلهم يعرفون ويتصنعون الجهل بالامر لتشويش افكاري خلال مرضي ثم الانقضاض علي فجأة واطلاعي على انهم يعرفون كل شيء منذ حين ، وان سلوكهم ما كان الا على سبيل الخدعة ... فما العمل الان وانا الذي نسيت ما كنت اعتقد انني اعرفه منذ نصف دقيقة ؟ »

كان واقفا في وسط الحجرة يدور بانظاره حوله وهو فريسة هياج عصبي اليم . مضى الى الباب ففتحه وانصت فلم يجد من يسترق السمع . وفي لحظة من صفاء الذهن اندفع الى الزاوية التي تحجب السجادة المهلهلة الثغرة التي فيها ففحصها بعناية ثم ادخل يده في الثغرة منقبا وسرعان ما ادرك انه لم يكن يفكر في هذا بالضبط . تذكر انه يسعى وراء قطع سرواله الممزقة وبطانة جيبه التي انتزعها والتي القاها مع قطع السروال في مكان لم يعد يذكره . ولما فتح باب المدفأة وبحث بين الرماد وجدها هناك فتأكد انهم لم يبلغوا في البحث تلك المرحلة . بقيت قطعة النعل المتخلفة عن حذائه ! ارتمى على السرير يبحث عنها فوجدها . كانت خلقة متأثرة من الاحتكاك قذرة . ان زاميوتوف لا يمكن ان يكون قد لاحظ عليها شيئا .. غمغم محدثا نفسه : « هيه زاميوتوف ! مكتب البوليس ! لكن لم استدعوني الى المكتب ؟ واين رقعة الدعوة ؟ ؟ به ! لا شك انني اخلط بين الامور فقد كان الاستدعاء امس البعيد وليس اليوم وكنت افحص طرف حذائي اما الان فقد كنت مريضا . فلم اذا جاء زاميوتوف ؟ ماذا في الامر ؟ هل يصور لي الخيال كل هذا ام انه حقيقة ؟ لا شك انه حقيقة؟ آه . لقد تذكرت : ينبغي ان افر . افر باسرع وقت . افر تماما ! لكن الى اين ؟ واين ملابسي ؟ اين احذيتي ؟ ها لقد اخذوها واخفوها . فهمت ، ها هو معطفي لقد افلت من انتباههم وها هو المال على الطاولة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وها هي السفتجة . حمدا لله . سأحمل المـــال واذهب ، وسأستأجر مسكنا آخر . لن يجدونني بعد ذلك . لكن اين ذلك المكتب ؟ مكتب الاستعلامات . انهم سيكتشفونني كما اكتشفني رازوميخين .. الافضل أن أفر تماما . بعيدا الى أمريكا . وأن أسخر منهم . وينبغي أن أحمل معي السفتجة الممزقة . لعلها تنفعني هناك . وماذا احمل ايضـا ؟.. انهم يظنونني مريضا ولا يصدقون انني قادر على المشي... ها ها ها.. لقد قرأت في عيونهم انهم يعرفون كل شيء فليس لي اذن الا ان اهبط السلم . لكن ما العمل اذا كان البيت مخفورا ورأيتني وجها لوجه مع رجال البوليس ؟ ما هذا الذي هنا ؟ اهو شاي ! آه لقد بقي شيء من الجعة . نصف زجاجة منعشة » ...

افرغ ما في الزجاجة فملأ كأسا كبيرة تجرعها دفعة واحدة بتلذذ وكأنه يطفيء النار المستعرة في صدره . ولم تمض دقيقة واحدة حتى اثرت الجعة في رأسه واعترته رعشة لذيذة نوعا .. فاستلقى وجـذب الغطاء على نفسه وعادت افكاره تزدحم محمومة معقدة حتى استولى عليه النعاس فدفن رأسه بغبطة في الوسادة النظيفة ، والتف بالغطـاء الانيق الذي استعاض به عن معطفه الممزق واستغرق في نوم عميق هادىء..

استفاق على صوت شخص يدخل غرفته ففتح عينيـــه ليـرى رازوميخين واقفا على العتبة مترددا في الدخول . نهض راسكولنيكوف فجأة بقوة وراح ينظر في عيني صديقه وكأنه يحاول تذكر شيء معين فهتف رازوميخين قائلا :

ـ كم لك مـتيقظ ؟ حسنا . ها أنذا اذن . سـوف أقدم لـعملك علما بنفقاتي والتفت نحو السلم وصاح :

ـ ناستاسيا ! الي بالرزمة .

يسأل راسكولنيكوف وهو يلقي حوله نظرة قلقة :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ كم الساعـــة ؟

ـ لقد نمت زمنا يقرب من ست ساعات ... لقـــد تمت ست ساعات طويلة وقد اقبل الليل ...

ـ رباه ! كيف استطعت النوم ؟

ـ وماذا بعد ؟ نم كما تشاء ! من ذا الذي يوقظك ؟ اتكون على موعد مع احـد ؟...

ان لدينا من الوقت ما يكفي . وانا انتظر يقظتك منذ ثـــلاث ساعات . وقد جئت مستطلعا مرتين . فكنت في كلتيهما نائما . وذهبت مرتين الى دار زوسيموف فلم اجده كذلك . لكن سوف يحضر . وقد اضطررت للتغيب قليلا لاعمالي الصغيرة الخاصة لانني كما اعلمتك ابدلت مسكني اليوم مع عمي . الا تعرف ان لي عما الان ؟ لكـن الى الشيطان . هذا لا يهم . لنعد الى العمل . وها نحن ... فكيف تشعر الان ايهـا العجوز ؟

ـ انا على خير حال . لم اعد مريضا يا رازوميخين . هل امضيت زمنا طويلا هنا ؟

ـ طبعا طالما انني اخبرتك بانني انتظرك منذ ثلاث ساعات ...

ـ كلا ! اعني قبل ذلك ؟

ـ اقصد منذ كم من الوقت جئت هنا ؟

ـ غريب . لقد حدثتك بذلك البارحة مطولا . الا تذكر ؟

مضى راسكولنيكوف يفكر . كان يبدو له ان ما حدث لا يمكن ان يعدو الحلم . فلم يكن يذكر شيئا . لذلك عاد ينظر الى رازوميخين مستفسرا فقال هذا :

ـ هم ... لقد نسيت اذا ... لقد بدا لي منذ حين انك لم تكن مالكا فوالك تماما واعتقد ان النوم قد افادك وارى ان وجهك يبـــدو

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مشرقا • فمرحى اذاً • لسوف تعمل ولسوف تذكر كل شيء اللحظة • والان انظر يا عزيزي انظر •

وراح يزيل رباط الحزمة التي بدا مهتما بها • وقال :

ـ انظر يا صديقي لقد كنت شديد الاهتمام بهذه الناحيـــة • لأنني أود أن تعـود رجلا ! حسنا لنبدأ مـن الأعـلى : أتـرى هـذه القبعة « كاسكيت » انها رغم جمالها لم تكلفني مبلغا كبيرا فاسمح لي ان اضعها على رأسك لتجربتها •

فدفعه راسكولنيكوف بشيء من العنف وقال :

ـ ليس الان • فيما بعد •

ـ اما هذا فلا ! يا صديقي روديا• لا تلح ! سيكون « فيما بعد » متأخرا ! ولن أنام الليل لانني اشتريت هذه الاشياء دون معرفة مقاساتك والان • ارني ••• هاه •• انها مطابقة تماما كما لو كان رأسك معي ! اتدري ان غطاء الرأس هو القطعة المهمة في مجموع المـــلابس ؟ ان صديقي تولستياكوف يضطر الى رفع قبعتـه البالية اذا وجد بـين جمع من الناس بينما يكون الجمع محتفظين بقبعاتهم فيشكره الجميع ظنـا منهم انه شديد الاحترام ولا يعلمون انه يخجل من ابقاء قبعته الزريـة على رأسه •

والتفت الى ناستاسيا وقال وهو يضع قبعة راسكولنيكوف العتيقة الى جانب الجديدة التي اشتراها :

ـ انظري يا ناستاسيا الى هاتين القبعتين الموجودتين هنـــا ، انه يطلق على هذه اسم قبعة • ولعلها تسمية مجازية • ولكن هـــل تعرفان كم دفعت ثمنا لهذه القبعة الجديدة ؟

قـال الخادم :

ـ عشرين كوبيكا على الاقل •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عشرون ؟ ويحك ، ان عشرون كوبيكا اليوم لا تشتريك أنت فكيف تشتري قبعة !

لقد دفعت ثمانين كوبيكا ثمنا لها وما ذلك الا لانها مستعملة بعض الشيء ... انما بشرط أن يعطوك بدلا عنها في العام المقبل . قبعة دون مقابل ! والان لنقم بجولة في الاماكن « الواطئة » كما كنا نقول في الجامعة . اعلمك قبل كل شيء انني فخور بهذه السراويل (ونشر امامه سروالا كان في الربطة) لن تجد فيها ثقبا ولا لطخة وهي بلون « الصدارة » وهذه من متطلبات العصر . ولا عيب فيها غير ان تكون انت الشخص الثاني الذي يلبسها . لكن لا تنسى ان الاشياء المستعملة احسن من الاشياء الجديدة لانها تكون اكثر مرونة وانسجاما ... اسمع يا روديا انني اعتقد ان الانسان الذي يريد دعم مركزه في الاوساط الاجتماعية مرغم على ملاحظة متطلبات الفصول ولما كنا في فصل الصيف فقد اشتريت لك البسة صيفية . وفي الخريف سوف يلزمك ثوب من قماش يبعث الدفء لتستطيع نزع هذه الملابس وانا واثق انها بانتظار الخريف ستصبح اسمالا بالية بفضل اهمالك . والان كم تعتقد انني دفعت ثمنا لهذا ؟ مع العلم ان شرط الاستبدال مجانا في السنة المقبلة قائم ابدا ؟.. روبلين وخمسة وعشرين كوبيكا ! ان فيدياييف ــ وهو الذي اشتريت من مخزنه هذه الثياب ــ يتعامل دائما مع زبائنه على أساس استبدال العتيق بجديد مجانا . ومعنى ذلك انك ستدفع مرة واحدة فقط . والان لننتقل الى الاحذية كيف تراها ! صحيح انها تبدو مستعملة لكنها ستخدمك شهرين كاملين وهي فوق ذلك بضاعة اجنبية كان يحتذيها احد كبار الموظفين في السفارة البريطانية وقد باعهما منذ اسبوع ولم يكن قد استعملهما اكثر من اسبوع ايضا وكان الدافع على البيع الحاجة الى المال . والثمن روبل واحد وخمسين كوبيكا . فهل تراني اجدت ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قالت ناستاسيا ملاحظة :

ـ لعلها لا تطابق حجم قدميه .

هتفت رازوميخين وكأنه اهين في كرامته وقال وهو يخرج من جيبه حذاء راسكولنيكوف القديم البالي :

ـ لا تطابق حجم قدميه ؟ اذا ما تسمين هـذا (وأشار الى الحذاء العتيق) أنا احتاط لكل شيء . لقد عاينوا وراعوا قياس هذه القاذورة التي كانت حـذاء وبذلك أبرمت الصفقـه بدقة تـامة ثم التفت الى راسكولنيكوف وقال مردفا :

ـ اما فيما يتعلق بالالبسة الداخلية فلقد اتفقت حول موضوعها مع صاحبة مسكنك وها هي ذي ثلاثة قمصان من القماش مع ربطات عنق مناسبة . والان لنجمع النفقات : ثمانون كوبيكا للقبعة ، روبلان وخمسة وعشرون للثوب فيكون المجموع ثلاثة روبـلات وخمسة كوبيكات ، روبل وخمسون كوبيكا للاحذية لانها في حالة جيـدة فيصبح المجموع اربعة روبلات وخمسة وخمسون كوبيكا اما الالبسة الداخلية فقد اشتريتها بالجملة بخمسة روبلات فيبلغ المجمـوع تسعة روبلات وخمسة وخمسون كوبيكا وتفضل بقبول الخمسة والاربعين كوبيكا الباقية ... ها انت الان يا روديا قد عدت جديدا. اما معطفك فهو مناسب في الوقت الحاضر ويستطيع الاحتمال بعض الزمـن . خصوصا وانه يحمل علامة « شارمر » وقد تركت لك امر العنايـة بالجوارب والاشياء الباقية وتستطيع انتقاءها كيف شئت . يبقى لديك خمسة وعشرون روبلا دون ان تنزعج من اجل ياشانكا او ان تفكر في اجرة السكن لانني كما قلت لك جعلت لك حسابا جاريا غير محدود . والان اسمح لي بأن ارجوك باستبدال هذا القميص الذي ترتديه ولن ادهش اذا ما ثبت ان مرضك كله مختبىء فيه .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان راسكولنيكوف يسمع هذا الحديث بامتعاض وقد بدت على وجهه دلائل الاشمئزاز وكأن شراء تلك الملابس اساء اليه فقال وهو يلوح بيده :

ـ دعني لا اريد الان .

فهتف رازوميخين .

ـ هذا لن يكون ايها العجوز ! أتعتقد انني اتلفت حذائي بالمشي لأتلقى هذا الجواب ؟ هيا يا ناستاسيا الشجاعة ساعديني ولسوف نتغلب على مقاومته وسنجعله يبدل ثيابه . وقد فعل !..

ارتمى راسكولنيكوف بعدئذ مستلقيا وهو صامت يفكر منتظرا خروجهما . وسأل بمرارة وانظاره نحو الجدار :

ـ بأي مال اشتريت هذه الحاجيات !

بأي مال ؟ اسمع هذا الهزر ! بمالك ! لقد جاء موظف منذ قليل يحمله اليك ! الا تذكر ان امك ارسلته بواسطة فاكروشين ؟

ـ نعم لقد بدأت اذكر الان .

نطق راسكولنيكوف بتلك العبارة وهو ينتفض متألما. بينما كان رازوميخين يرقبه بشيء من القلق . وفي تلك اللحظة فتح الباب ودخل رجل طويل القامة عريض المنكبين كان يبدو انه يعرف راسكولنيكوف معرفة سطحية فهتف رازوميخين بالقادم قائلا بلهجة مرحة :

ـ زوسيموف ها أنت ذا أخيرا .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان « زوسيموف » طويل القامة ضخم الجثة ذا وجـــه ممتلىء شاحب نظيف جدا وشعر اشقر مائل الى البياض منتصب على رأســه يضع على عينيه نظارات انيقة ويلمع في اصبعه خاتم ذهبي ، في السابعة والعشرين من عمره يرتدي معطفا من الجوخ الخفيف أودع فيه الخياط عنايته وفنه ، وسراويل صيفيه فاتحة اللون حتى ليحكـــم الانسان للوهلة الاولى انه شديد العناية بهندامه ومظهره . كان قميصه ناصـع البياض وصدارته مزينة بـسلسلة ذهبية تهبط حتى أسفل بطنه يبـدو متثاقل الخطى ثقيل الظل رغم المجهود الذي يبديه ليظهر بمظهـر المرح وكانت العناية التي يحيط بها نفسه واضحة في كل خطوة وكل لحظة حتى ان كل معارفه كانوا يشعرون بانه انسان ثقيل ولكنهم يتفقون مع ذلك بانه خبير في مهنته .

هتف رازوميخين :

ــ يا عزيزي ! لقد ذهبت مرتين الى منزلك فلم اجدك... ها ان المريض قد استعاد حواسه .

فسأل زوسيموف مغمغما !

ــ ارى ذلك .. والان كيف حالك يا راسكولنيكوف ؟

ومضى دون ان ينتظر جوابـــا فجلس علـى طرف « السرير » باسترخاء واهمال . قال رازوميخين :

ــانه لا يزال ينظر بمنظار اسود الى الاشياء ولقد اضطررنا منذ لحظة على ان نبدل له ثيابه بالقوة فكاد ان يبكي .

ــ كان يجب ارجاء ذلك الى ما بعد طالما انه لم يرق له ... ارني نبضك اما زال رأسك يؤلمك ؟ هم ؟...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

اجاب راسكولنيكوف بلهجة يشوبها الغضب وقد نهض فجأة ولمعت عيناه ببريق خاطف :

ـ انا في حالة جيدة ... تماما .. وتهاوى من جديد على الوسادة مستديرا نحو الجدار .

كان « زوسيموف » يرقبه باهتمام فقال :

ـ حسنا جدا . انه يتقدم ... هل تناول طعاما ؟

فراح رازوميخين يعدد له انواع الطعام التي تناوله المريض ويسأله عن الالوان التي يجب تقديمها اليه في المستقبل . فقال :

ـ فليطعم ما يشاء ... حساء ... شاي باستثناء البصل والقثاء ولحم البقر ... واقطعوا عنه الدواء وسأعوده لاراه .

قال رازوميخين بلهجة الواثق :

ـ سوف اجعله ينزه مساء غد وسنمضي الى حديقة « يوسوبوف » ثم الى « الباليه دوكريستال » .

ـ حسنا لن اعوده غدا ولن تضيره جولة صغيرة وشنرى بعد ذلك ...

ـ مما يؤسف له انني اليوم اقيم حفلة على بعد خطوتين من هنا ... كم وددت لو استطاع ان يشاركني فيها حتى ولو كان مستلقيا على سريره ! هل تأتي انت يا زوسيموف ؟ لا تنس انك وعدتني !

ـ طبعا لكنني سأكون متأخرا قليلا . ماذا ستقدم ؟

ـ لا شي اكثر من شاي وعرق وبعض السمك ثم الحلوى ايضا . هذا كل ما هناك لان الحفل مقتصر على الاصدقاء .

ـ ومن هم ضيوفك ؟

ـ اشخاص من الحي . كلهم حديثو المعرفة بي باستثناء عم عجوز لي ارتبطت به مؤخرا باسباب معينة لانه جاء الى « بيترسبورغ »

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

امس فقط . اننا لا نلتقي اكثر من مرة كل خمس سنوات .

ـ لقد كاد أن يتلف حياته كلها في احدى المقاطعات كرئيس مركز البريد وهو الان يتقاضى راتبا تقاعديا وله من العمر خمسة وستون عاما وهو معجب بي وسيكون في الحفلة قاضي التحقيق المختص بالحي « بورفير سيميونوفيتش » وهو رجل قانوني هل تعرفه ؟

ـ أهو من اقربائك ايضا ؟

ـ قريب بعيد جدا . لكن لم امتعضت قليلا ؟ ألأنك اختلفت معه ذات يوم تكاد الان ان تلتهمني بنظرتك الغاضبة ؟

ـ انا لا اعلق اي اهتمام عليه .

ـ ذلك اجدى اذن . وسيكون بين الموجودين طلاب واستاذ وموظف وموسيقي ثم الضابط « زاميوتوف »

ـ قل لي اذا امرت ما هي العلاقة التي تربطك او تربطه (واشار بأصبعه نحو راسكولنيكوف) بواحد مثل « زاميوتوف » ؟

ـ اوه ! يا لك من رجل منغص تهتم بالاسئلة المنطقية . أنك تعتمد في حياتك على مثل هذه النظريات وكأنك جبلت عليها . وبذلك لا يجرؤ المرء على ان يستغرق في السرور معك ! اما بالنسبة الي فانني ابحث قبل كل شيء عن الرجل الطيب . تلك هي نظريتي . وزاميوتوف رجل طيب جدا .

ـ نعم ! ويأكل من المعالف ...

غضب رازوميخين وصاح فجأة :

ـ ليكن ! لا يهمني ذلك . هل امتدح نفسه امامك بمثل هذا القول؟ ان ما يهمني فيهو انه رجل طيب. ولو اضطر الانسان للتدقيق في كل الناس لاخفق ـ ولاعجبه ـ في العثور على شخص ممتاز واحد . انا اراهن ان المدقق المتعمق لا يدفع ثمنا لشخصي بصلة واحدة

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ولو اضيف الي شخصك !

ـ هذا قليل ! انا ادفع بصلتين ...

ـ اما انا فواحدة فقط . قد يكون زامبيوتوف خبيثا او سفيها ، غير انني استطيع دائما ايجاد الفرصة التي تمكنني من جذب شعره . ذا ينبغي ان يعمد المرء مع مثله الى المداراة واللطف وليس الى العنف، لانه يصعب اصلاح المرء بالشدة والتنكر له ، خصوصا اذا كان خبيثا . ينبغي أن يكون الانسان شديد الدهاء مع الخبيثين . وأنت أيها التقدمي الاحمق ، انك لا تفهم شيئا من هذا . انت تحترم الطبيعة البشريه فقط ، بل وتنتقد نفسك أيضا . مع ذلك لا بأس من أن أخبرك بأن بيننا نوعا من العمل .

ـ يسرني ان اعرف ذلك العمل ...

ـ انها لا زالت قضية الدهان ... اقصد دهان البيوت . لكننا سنجد طريقة لانقاذه من ورطته واعتقد ان لا خطر عليه الان فقد وضحت القضية وكل ما نعمله الان ان هو الا ضرب عصفورين بحجر واحد .

ـ اي دهان بيوت تعني ؟

ـ كيف ؟ ألم أخبرك بالامر ؟ كلا ؟ حسنا . أعتقد انني سردت لك البداية فقط ! .. انت تعرف حكاية العجوز المرابية ارملة الموظف ... حسنا . ان احد الدهانين متهم بالقضية الان .

ـ آه .. نعم . نعم . لقد سمعت شيئا عن تلك الجريمة . وهي قضية استلفتت انتباهي الى حد ما وقد قرأت ما نشرته الصحف ... استمر ...

كانت ناستاسيا واقفة قرب الباب تتابع الحديث باهتمام فقالت موجهة حديثها الى راسكولنيكوف :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لقد قتلوا اليزابيت ايضا ...

فغمغم راسكولنيكوف بصوت مختنق :

ـ اليزابيت ؟

ـ نعم اليزابيت . بائعة الثياب القديمة . انت تعرفها جيدا . لقد كانت تتردد علينا وقد رتقت ذات مرة قميصك .

ادار راسكولنيكوف وجهه نحو الجدار وراح يتأمل زهرتم بيضاء منقوشة على سجادة الجدار الصفراء القذرة الممزقة ويعد بثلاثها والخطوط التي تحيط بها .

شعر ان اعضاءه قد تصلبت وكأنها لم تعد قطعة من جسمه فلم يحاول القيام بأية حركة بينما انظاره معلقة بالزهرة البيضاء . ونظر زوسيموف بامتعاض واضح الى ناستاسيا وقد ازعجه قولها وقال موجها حديثه الى رازوميخين :

ـ حسنا، وماذا وقع لذلك الدهان ؟..

ادركت ناستاسيا انه يطلب اليها السكون فزفرت وصمتت بينما أجاب رازوميخين بلهجة المتفاخر :

ـ ان ذلك المسكين قد اتهم بالجريمة .

ـ هل اقيمت ضده الدلائل ؟ ما هي البراهين ؟

ـ مجرد شبهات وظنون . غير ان ما اخذ عليه لا يمكن ان يكون مهما . ما كان هذا ينبغي شرحه . انها ظنون كتلك التي احاطت بالاخرين : ككوخ وبيستریاكوف ، اللذين اوقفا في حينه . أما كيف وقع ذلك فان الانسان ليخجل من ذكره ... ومن المنتظر ان يزورني « بيستریاكوف » اليوم ! وعلى فكرة يا روديا انت تعرف هذه القضية . فهي وقعت قبل مرضك أعني قبل أن يغمى عليك في مركز البوليس حينما كانوا يتحدثون عنها هناك !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

نظر زوسيموف الى راسكولنيكوف بفضول لكن هذا لم يطرف.

ـ اتدري يا رازوميخين بأنك تبدو مولعا في التدخل في كل الامور ؟؟..

ـ المهم ان استطيع تخليص الدهان المسكين من ورطته .

فاه بذلك وهو يهوي بيده على المائدة التي كانت بجانبه وقد استبد به الحماس وصمت قليلا ثم اردف :

ـ انه ليس عارا ان يخطىء المرء ... بل ان الخطأ مفيد لأنه يوصل الانسان الى الحقيقة ! لذلك فأنا لا انقم على البوليس خطأه بل ان ما يزعجني في الموضوع هو استمساكهم بالخطأ . وانا اميل الى يورفير رغم ذلك . والآن لننظر في الاسباب التي جعلت رجال البوليس يسلكون طريقا خاطئا : أنهم يعتمدون على تناقض يدعون وقوعه في اقوال كوخ وبيستریاكوف . فهما قررا انهما شاهدا الباب مغلقا اول الامر ثم لما عادا ومعهما الحارس وجداه مفتوحا . لذلك فقد وجب ان يتهما بالجريمة فتأمل هذا المنطق !

ـ هيا ... هيا . لا تندفع ! لم يكن لديهم غير ما عملوا . وعلى فكرة كوخ أعتقد انني أعرف عنه شيئا ... انه كان يشتري من العجوز الرهائن التي يعجز أصحابها عن تسديد ما استلفوه عليها .

ـ نعم انه لص ! وهو يشتري ايضا السندات المالية ! انه فارس أعمال ! ليحمله الشيطان ! أنا يزعجني هذا أتفهم ! ان الوتيرة التي يسيرون عليها هي كل ما يثير اعصابي ... « الروتين » مع ما فيه من سخف وتضليل ... انني اعتقد ان في مقدورهم في هذه القضية على الاقل ان يتخلوا قليلا عن اساليبهم البالية وان يتبعوا نهجا جديدا خاصا غير عادي . يدعون ان لديهم « حقائق » اما ما يسمونه بالوقائع « الثابتة » ليست كل شيء في سياق التحقيق . بل ان نصف الحل

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يتوقف على الطريقة التي يفهمون بها تلك الوقائع !

ـ يبدو انك تفهمها خيرا منهم !

ـ طبعا ... طبعا ... اسمع هذه المعجزة التي يتذرعون بها : في صبيحة اليوم التالي للجريمة ، كانوا يستجوبون كوخ وبيستر ياكوف رغم انهما اوردا ادلة لا تقبل الجدل ، تدعم اقوالهما وتبين تصرفاتهما في ذلك اليوم المشؤوم . فوقع حادث غير منتظر . اذ تقدم شخص يدعى « دوخكين » ـ وهو فلاح يدير حانة تقع مقابل البناء الذي وقعت فيه الجريمة ـ وقدم للرئيس علبة حلي تحتوي على قرط للاذن وادلى بالاقوال التالية :

قال : « انه اول امس مساء ، بعد الساعة الثانية ، ـ لاحظ التاريخ والوقت ـ جاءه العامل الدهان نيكولا ، وهو من رواد حانته ، يحمل علبة صغيرة فيها قرط من الذهب بأحجار لامعة صغيرة ورجاه أن يسلفه روبلين عليها . ولما سأله من أين له هذه الحلية ؟ أجابه بأنه عثر عليها على الرصيف ! فاقتنع بجوابه واعطاه روبلا واحدا لانه قدر انه اذا رفض تسليفه اي مبلغ فانه سيمضي الى سواه . وعلى ذلك فان من الافضل والحالة هذه ان يقرضه بعض المال خصوصا وانه سينفقه في حانته . وهكذا احتفظ بالحلية الذهبية وأعطاه الروبل وهو عازم على ابلاغ رجال الشرطة اذا اتضح انها كانت مسروقة ! » .

لا شك انت ترى ان تلك الحكاية تجعلك تنام وانت واقف على قدميك ! لان « دوخين » كاذب في روايته وانا اعرفه فهو اذا كان قد « لطش » من نيكولا حلية تساوي قيمتها ثلاثين روبلا لقاء روبل واحد فليس ذلك ليخبر رجال الشرطة فيما بعد كما صرح ! ولم تقف قصته عند هذا الحد بل انه تابع يقول :

« ان هذا الفلاح « نيكولا ديماتبيكس » معروف من قبلي ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فهو من مقاطعة « ريازان » التابعة لناحية « زارائيسك » وانا شخصيا من هناك ولذلك اعرفه منذ ان كان طفلا • فهو يحب الشراب رغم انه ليس مدمنا • وانا اعرف انه يشتغل مع زميله « دميتري » الذي هو كذلك من بلدته • وقد شهدته يجرع كأسين متتاليين يدفع ثمنها من الروبل الذي اقترضه مني ثم يطبق على ما بقي له منه ويمضي • ولم يكن « دميتري » معه في تلك اللحظة • وفي اليوم التالي سمعنا ان آليونا ايفانوفنا واختها اليزابيت قد قتلتا بضربات فأس • وكنت اعرف العجوز واختها فغمرني شك مفاجيء حول مصدر الحلية التي اتاني بها « نيكولا » وذهبت لارى حيث يشتغل مع « دميتري » في ذلك البناء ورحت اسأل بدهاء وحذر لأعرف شيئا عن مصدر الحلية وكان أول سؤال وجهته هو :

ـ هل نيكولا هنا ؟

فأجابني دميتري ان نيكولا يحتفل اليوم بالشراب لانه عاد مساء امس عند الشفق ثملا مترنحا ولم يلبث معي اكثر من عشر دقائق في الدار ثم خرج من جديد ولم أره بعد ذلك فصممت على انهاء العمل وحدي •

ولما كان المسكن الذي يدهنون جدرانه في الطابق الاول وكان يفضي الى السلم الذي يقود الى حيث تقطن الضحيتان فقد احتفظت بهذه الملاحظة لنفسي عازما على الافادة منها في ربط الحوادث واستقصيت المعلومات من الجريمة وعدت الى داري فريسة للشكوك وفي صباح اليوم التالي شاهدت « نيكولا » داخلا حانتي وقد خف ثمله وبدا انه لم يأكل بعد شيئا وقدرت انه يستطيع فهم الحديث الذي سأوجهه اليه فلما جلس على مقعد وحيدا ـ ولم يكن في الحانة الا رجل آخر غريب مدمن كان نائما في تلك اللحظة على مقعده باستثناء

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الفلاحين اللذين يقومان بالخدمة ـ اقتربت منه ودار بيننا الحديث التالي : قلت :

ـ هل رأيت دميتري ؟

ـ كلا لم اره !

ـ ولم تذهب الى حيث يشتغل ؟

ـ لم اذهب منذ اول امس .

ـ ولكن اين نمت ليلتك هذه ؟

ـ في حي « الرمال » عند آل كولومنا .

ـ ومن اين جئت بذلك القرط امس ؟

فأجاب دون ان ينظر الي :

ـ عثرت عليه على الرصيف .

ـ هل سمعت ان في ذلك المساء بالذات وفي تلك الساعة ايضا وقع كذا وكذا على السلم الذي تشتغل في مسكن يطل عليه ؟

ـ كلا ! لا اعرف شيئا .

فلما قصصت عليه ما وقع كان يصغي الي وهو شاحب اللون متسع الحدقتين ، وغدا اقرب الى لون الحكك ورأيته يأخذ قبعته ويحاول النهوض فعملت على استبقائه وقلت :

ـ انتظر يا نيكولا . الا تشرب قدحا ؟ ثم غمزت الى احد الفلاحين مشيرا الى الباب ليقف عنده وتركت بدوري الخوان الذي كنت اقف وراءه . وفجأة نهض نيكولا دون ان نستطيع اللحاق به وركض نحو الباب وخرج مندفعا ثم اختفى عند منعطف الطريق !.. فازدادت شكوكي وتأكد لي انه هو القاتل ! » .

فقال زوسيموف بصوت خافت :

ـ ذلك واضح .

ـ إنتظر واسمع النهاية : عني عن الذكر ان رجال الشرطة راحوا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على قدم وساق يبحثون عن نيكولا وانهم اوقفوا دوخكين وفتشوا منزله وحانته وكذلك فتشوا مسكن دميتري فجعلوا عاليه سافلـــه ولم ينج منهم آل كولومنـــا واستطـــاعوا أمس الاول القبـــض على نيكولا وسوقه الى السجن • وجدوه على ما يبدو في « خان » بالقرب من مكان نسيته ويبدو انه لما بلغ ذلـك « الخان » نزع صليبه الفضي من عنقه وطلب استبداله بقدح من العرق شربه • ولـم تمض علـى وجوده بضع دقائق حتى شاهدت امرأة ــ كانت تقصد الاصطبـــل لتحلب البقرات ــ نطاق نيكولا معقودا الى عمـــود في السقف على شكل عقدة سيالة ورأته يصعد على مقعد محطم ويحـاول ادخـــال العقدة فاستطاعت ان تطلق صيحات مذعورة هرع على اثرها عدد من الناس ولما قيل له :

ــ اذا هذا ما كنت تريد عمله ؟

اجـاب :

ــ خذوني الى دائرة البوليس لسوف اعترف بكل شيء •

وهكذا اقتادوه بموكب يليق به الى دائرة البـوليس التي طلب ان يأخذوه اليها وهي التي في هذا الحي • وهناك راحوا يستجوبونه فعرفوا اسمه الكامل وان له من العمر اثنين وعشرين عاما فسألوه :

ــ هل شهدت احدا على السلم خلال الساعة كذا وكذا بينمـا كنت تشتغل مع دميتري •

فأجـاب :

ــ يجوز • لقد مر عدد من الناس • لكننا لم ننتبه اليهم •

س : هل سمعتما حركة ما او ضجيجا ؟

ج : لم نسمع شيئا يلفت النظر •

س : لكن انت يا نيكولا هل قتلت وسلبت في ذلك اليـوم وفي

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ساعة كذا تلك العجوز واختها ؟

ج : لا علم لي بشيء من ذلك بل وما كنت اظن ان هذا سيقع وقد سمعت القصة من آتاناس يا فليتش للمرة الاولى • وكان ذلك في الحانة •

س : ومن اين جئت بذلك القرط الذهبي ؟

ج : لقد وجدته ملقى على الرصيف •

س : لِمَ لم تذهب في اليوم التالي الى عملك كالمعتاد ؟

ج : لانني كنت اسكر •

س : واين كنت تسكر ؟

ج : في امكنة كذا وكذا •

س : ولم فررت من لدن دوخكين ؟

ج : لانني كنت خائفا •

س : ومم كنت خائفا ؟

ج : كنت خائفا من المحاكمة •

س : ولم تخاف منها طالما انك لست مجرما ؟؟ ... »

وهكذا يا زوسيموف سواء صدقت ام لم تصدق ، القي عليه هذا السؤال السطحي وبهذه العبارات بالذات • فما رأيك ؟

ـ ليس سخيفا اذا كانت القرائن موجودة واضحة •

ـ انا لا اتحدث الان عن الادلة بل عن السؤال • عن الطريقة التي يفهم بها هؤلاء الناس واجباتهم ! الى الشيطان كل هذا ! لقد اعتصروه بالاسئلة عصرا حتى اعترف وقال : « كلا لم اجد الحلية على الرصيف بل وجدت العلبة في المسكن الذي نشتغل فيه أنا ودميتري » ولما سألوه : وكيف حدث ذلك اجاب :

ـ كنا دميتري وانا قد اشتغلنا طوال اليوم وكانت الساعة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الثامنة حين هممنا بالانصراف واذا بدميتري يأخذ فرشاة مغموسة بالدهان فيلطخ وجهي به على سبيل المزاح ويفر • فتبعته غاضبا وانا اصرخ كالوحش الجريح ولم اكد ابلغ الباحة حتى اصطدمت بالبواب الذي كان يرافقه بعض السادة ولا اذكر عددهم • وهنا راح البواب يسمعني حماقات حتى جاء البواب الثاني هارعا وخرجت زوجة الاول من كوخها وراحت تدعم زوجها وتساعده في سبابه وكذلك كان هناك رجل وبرفقته سيدة كانا ينتظران في تلك اللحظة على الباب الخارجي فراحا يوبخاني ايضا لا لشي الا لاننا دميتري وانا احدثنا ضجيجا وسببنا في تأخيرهما عن متابعة السير • والحقيقة انني كنت في تلك اللحظة قابضا على فروه رأس دميتري طارحا اياه ارضا منهالا عليه بالضرب وكان دميتري بالمثل قابضا على شعري يضرب وجهي ويركلني بساقيه دون ان نكون حانقين بل كانت القضية مجرد مزاح فقط • وتخلص مني دميتري وانطلق الى الشارع فهرعت وراءه لكنني لم أبلغه فعدت الى المسكن الذي كنا نشتغل فيه لأخذ أدواتي التي تركتها هناك عند لحاقي بدميتري ولارتب العدة • وعندئذ شاهدت في الممشى قرب الباب بمحاذاة الجدار علبة صغيرة تعثرت بها قدمي فلما انحنيت عليها متفحصا رأيت شيئا ملفوفا في ورقة بعناية واذا هو قرط ذهبي » •

صاح راسكولنيكوف فجأة وهو يلقي نظرة وجلة شاردة مضطربة الى رازوميخين وينتاهض على يديه بمجهود عنيف :

ـ وراء الباب ؟ كانت وراء الباب ؟ وراء الباب ؟

فأجاب رازوميخين وهو ينهض عن مقعده بدوره :

ـ نعم ! وماذا في ذلك ؟ ما بك ؟ ماذا اصابك ؟

فأجاب راسكولنيكوف بصوت خافت لم يبلغ مسامعه وهو

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يتهاوى على الوسادة مستديرا الى الجدار :

ـ لا شـيء

ران السكوت عليهم جميعا لحظة طويلة حتى قطعه رازومیخین محدثا زوسيموف بعد ان القى عليه نظرة استفهام :

ـ لقد عاد يهذي ولا شك ، انه يحلم !

فهز زوسيموف رأسه نفيا وقال :

ـ تابع حديثك ، لا تلقَ بالا اليه ، ماذا بعد ؟

ـ ماذا بعد ؟ ان الامر واضح ! لم يكد نيكولا يرى الحلية ، حتى كل شيء : العمل ودميتري ، وهرع الى دوخيكن يقدم له الحلية لقـاء روبل يستلفه كما اسلفت . لكنه اكتفى بالادعاء بانه لقيها على الرصيف وراح بعدئذ يحتفل بحظه « السعيد » . اما فيما يتعلق بالجريمة فهـو لا زال متمسـكا باقواله من انه لم يسمع عنها مطلقا الا في اليوم الثالث لوقوعها ، ولما اعيد استجوابه عن سبب اختفائه طيلة ذلك الوقت كان يجيب : ـ كنت خائفا .

وسئل عن سبب عزمه على الانتحار فقال :

ـ كنت اردد في نفسي شيئا .

ـ ما هو ذلك الشيء ؟

ـ هو انني سأحاكم ... » وهكذا تعود الاسئلة التي لا تنتهي . والان ما هي استنتاجاتك مما سمعت ؟

ـ وماذا تريدني ان استنتج ؟ هناك قرائن لا يمكن التغاضي عنها مهما بلغت تفاهتها : هناك امر واقع ! لا اعتقد انك تريد ان يطلق سراح ذلـك الدهان .

ـ كلا ! لكنهم البسوه تلك الجريمة مقتنعين بصدق فراستهم .

ـ انك تنفعل وتثور . ولكن ذلك القرط ؟ انك ولا شك توافق

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

معي على ان ذلك القرط الذي وقع في يده ذلك اليوم بالذات وتلك الساعة بالذات والذي هو واحد من مجموعة من الحلي اختفت كلها من صندوق العجوز ، انك توافقني على ان وجود القرط مع نيكولا امر مثير وان التحقيق في هذا الموضوع عادي جدا بل واجب .

هتف رازوميخين حانقا :

ـ كيف بلغ اليه القرط ؟ غريب الا ترى في هذه الاقوال ـ وانت الطبيب الذي تهتم قبل كل شيء بالطبيعة الانسانية ولك من عملك ما يتيح لك ذلك بسهولة ـ صورة عن طبيعة نيكولا ؟ ألا تلمس بوضوح ان كل ما صرح به خلال استجوابه كان الحقيقة الناصعة المطلقة ؟ ثق ان القرط قد بلغ اليه بالطريقة التي اوردها : تعثرت قدمه بالعلبة فأخذها .

ـ الحقيقة الناصعة المطلقة ؟ مع ذلك الم يعترف بانه كذب في المرة الاولى ؟

ـ اصغ الي بأنتباه : ان البواب و « كوخ » و « بيستريا كوف » والبواب الاخر وزوجة البواب الاول والبائعة التي كانت في الكوخ والمستشار القضائي « كريوكوف » الذي كان يترجل في تلك اللحظة من عربته ويجتاز عتبة المدخل مع سيدة ، كل هؤلاء واعني ثمانية او عشرة شهود يصرحون بصوت واحد أن « نيكولا » كان ملقيا « دميتري » الى الارض ومرتميا عليه يعاركه ويضربه بينما الاخر يجذب شعره ويركله بشدة ، وانهما كانا مستقلين امام الباب يعرقلان المرور وانهما استهدفا لسباب واستنكار من كل الجهات بينما ظلا «كطفلين» ـ كما قال الشهود تماما ـ يتعاركان ويتضاربان ويتضاحكان ويتلاحقان كالاطفال الذين يلعبون في الشارع . فهل سمعت هذا ؟ والان انتبه الى هذه الملاحظة : كل هذا بينما وفي الطبقة الرابعة جثتان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لا زالتا دافئتين لامرأتين يتهم في قتلهما وسلبهما نيكولا بالـــذات ، فلو ارتكب امرا كهذا الا يقوم امامنا سؤال بسيط وهو : كيف كانت تلك الضحكات والصيحات وذلك العبث الصبياني امام الباب الرئيسي لذلك البناء تصدر عنه ؟ وهل تتفق مع القأس والدم والحيلة والوحشية والمكر البادية على الجريمة نفسها ؟ كيف يقتل امرؤ منذ خمس دقائق على الاكثر ثم يمضي تاركا وراءه جثتين ساخنتين مهشمتي الـرأس وهو يعلم ان الناس سوف يكتشفون الأمر بين لحظة وأخـرى ! وبدلا من التواري والاختفاء يلعب مع شريكه في الجريمة ــ ولا بـــد انه يكون دميتري شريكه على اساس ذلك الافتراض ــ كالطفل الـذي لا يحمل وزرا على ضميره ويجتذب بذلك أنظار عشرة مـن الشهـود ليتحققوا من شخصيته ويجمعوا على رؤيته .

ــ لا شك ان ذلك غريب انه غير معقول بالطبع ، لكن ...

ــ لا يوجد « لكن » ايها العزيز ... فاذا كان القرط الذهبي الذي وجد في تلك الساعة وفي ذلك اليوم في جـزيرة نيكـولا يشكل قرينة جدية استنادا الى اقوال المتهم التي اعتبرت « موضع النقـــد والاعتراض » فانه ينبغي الأخذ بعين الاعتبار الوقائع المؤيدة والتي تقول « انه من العبث نقض الاقوال » مع ذلك هل ينتظر من القضاء عندنا ، وهو على ما نعهد به من اتجاه ، هل يمكن لهذا القضاء ان يعتبر الدليل الذي يقوم على استحالة نفسانية « بسيكولوجية » وعلى «الاستعداد الفكري » ، هل يمكن ان يعتبره امرا مسلما به تنهار امامه الوقائـع المادية مهما كان نوعها ؟ كلا ! لا اعتقد ان رجلا سيشنق لمجرد عثورهم معه على حلية تخص امرأة قتيلا . خصوصا وانه ما كان ليعرض تلك الحلية لو انه كان الفاعل وهنا القضية الرئيسية في الموضوع وهـذا هو سبب حماسي فهل تفهم ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ نعم ، ارى انك متحمس . انتظر لحظة ، لقد سها عني سؤال اريد طرحه عليك : ماذا يثبت ان ذلك القرط جاء من صندوق العجوز ؟

بان الانزعاج على وجه رازوميخين وقال بشيء من الامتعاض :

ـ لقد برهن على ذلك ، لان « كوخ » الذي تعرف على القرط دل على صاحبه الذي استلفت من العجوز وأكد صدق قوله .

ليكن ، بقي سؤال : ألم يشاهد أحد نيكولا في الوقت الذي كان فيه كوخ وبيستریاكوف يصعدان السلم ؟ وهل لا يمكن التدليل على ذلك بطريقة ما ؟

فأجاب رازوميخين بأسف :

ـ المؤسف ان أحدا لم يره حتى ولا كوخ وبيستریاكوف . فهما لم يلاحظا العمال عندما صعدا الى مسكن العجوز رغم ان شهادتهما لم تعد الان ذات موضوع . لقد قالا : « شهدنا باب مسكن مفتوحا ولا شك ان اعمالا وترميمات كانت تجري فيه ! فلم نعر ذلك التفاتا ولسنا متأكدين تماما ما اذا كان العمال موجودين فيه في تلك اللحظة ام لا » .

ـ هم ! وعلى ذلك فان كل ما يمكن الاستشهاد به لاظهار براءته هو ذلك العراك وتلك الضحكات التي كان يرددها وهو يصارع دميتري . ليكن ، انه دليل قوي ولكن اسمح لي من جديد أن أطرح عليك سؤالا :

ـ كيف تفسر الامر بنفسك ؟ اقصد كيف تفسر وجود القرط في المسكن الخالي اذا كان ما قاله نيكولا بصدد عثوره عليه صحيحا ؟

ـ كيف افسر ؟ وما الذي يدعو للتفسير هنا ؟ ان الامر واضح .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

او على الاقل ان الطريق التي ينبغي على التحقيق ان يسير عليها واضحة تماما • بل ويوضحها القرط نفسه : لقد ترك القاتل الحقيقي ذلك القرط يسقط منه • فقد كان في مسكن القتيل عندما قرع « كوخ وبيستریاكوف » الباب وكان قد اوصده من الداخل • وارتكب « كوخ » حماقة بمغادرته مكانه مما اتاح للقاتل فرصة التسلل من المسكن والهبوط على السلم خصوصا وانه لم يكن امامه طريق اخر للفرار • وعلى السلم اضطر ان يحتجب عن انظار كوخ وبيستریاكوف والبواب بالاختفاء في المسكن الخالي الذي كان دميتري ونيكولا قد تركاه منذ حين • ولا شك انه توارى وراء الباب عندما كان البواب والزائرون يصعدون الى الطبقة الرابعة وعندئذ نزل بهدوء في اللحظة التي كان دميتري ونيكولا يتتابعان في الشارع والباب العمومي خاليا بعيدا عن الرقابة • ولا شك ان ذلك القرط قد سقط منه حينما كان متواريا وراء الباب دون ان ينتبه له لانه كان منصرفا الى نواحي اخرى • تلك هي القضية كلها •

ـ لعمري يا عزيزي انه تصور بارع ومناقشة وجيهة •

ـ ولكن لِمَ اذا ؟ لِمَ اذاً ؟

ـ لان ذلك كله مرتب ببراعة ودهاء حتى ليظن انه قصة مسرحية موضوعية •

كان رازوميخين على وشك الرد على تلك الملاحظة حينما فتح الباب ودخل انسان جديد لم يكن يعرفه احد من الثلاثة الموجودين في الغرفة •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان الداخل رجلا متصنعا في حركاته، متعجرفا لا يمكن تحديد سنه على الضبط ذا سحنة متحفظة صارمة ... وقف على العتبة وسرح طرفه فيما حوله وبدت على وجهه امارات الدهشة العميقةالمهينة وتمتم:

في اية بؤرة ارى نفسي ؟

كان يتلفظ بتلك الكلمات بنوع من المقترن بالخوف والغضب وراح يتأمل « الجحر » المنخفض الضيق الذي يأوي اليه راسكولنيكوف ، ثم استدار دون ان تتبدل نظرة القلق والترفع المرتسمة في عينه ، ونظر الى راسكولنيكوف وهو مسجى دون حراك على ذلك الديوان الحقير وهو شبه عار من الثياب ، أشعث الشعر ، قذر الوجه طويل اللحية ... وانتقل بعدئذ الى معاينة وجه « رازوميخين » المهمل الشعر واللحية الذي راح يحملق فيه بدوره بفضول مثير دون ان يتحرك من مكانه ، وران السكون دقيقة اعقبه تبدل في المشهد : ذلك ان الغريب شعر من حرارة اللقاء الذي استقبل به في ذلك « الجحر » انه لن يتقدم قيد انملة في الغاية التي ينشدها اذا استمر على اسلوبه المترفع الشامخ المبالغ فيه ، لذلك فقد عدل خطته بما يتناسب و « المقام » وقال بلهجة مهذبة خالية من التصلب ، موجها حديثه الى زوسيموف وهو يتمهل في نطق الكلمات :

ـ روديون رامونوفيتش راسكولنيكوف ، سيد ، كان طالبا أو على الاصح طالبا سابقا ؟

وتحرك زوسيموف ببطء وكاد ان يجيب لولا ان تدخل رازوميخين فجأة ـ وهو الذي لم يوجه الغريب اليه الحديث ـ

ـ خذ ، انه مستلق على « الديوان » ولكن انت ماذا

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

« ينبغي لك » ؟

وازاء عبارة « ماذا ينبغي لك » التي تدل على رفع الكلفة بين المتكلمين كاد السيد ذي المظهر المتكلف ان يفقد وقاره ويستدير نحو المتحدث الزري الهيئة لولا أن تمالك نفسه آخر الأمر فاستمر يوجه الحديث الى زوسيموف الذي قال وهو يشير الى المريض :

ـ هذا راسكولنيكوف !

ثم تثاءب فاغرا فاه حتى ظهرت آخر اضراسه وبحث في جيب « صدارته » عن ساعته المحدودبة فأخرجها وفتح غلافها ثم اعادها الى جيبه بعد ان نظر اليها وعاد يتثاءب بأشد مما كان يفعل من قبل .

أما راسكولنيكوف فكان خلال هذا الوقت لا يزال مستلقيا في مكانه دون ان ينطق بحرف واحد . كانت نظراته معلقة بوجه الغريب رغم خلوها من اي معنى ! كان قد تخلى منذ حين عن النظر الى تلك الزهرة البيضاء على السجادة المهلهلة البالية فبدا وجهه شديد الشحوب تفضح امارات وجهه عذابا داخليا اليما حتى ليخيل للناظر اليه انه اخرج توا من غرفه العمليات حيث اجريت له عملية جراحية استنفذت الجانب الاكبر من دمه . غير ان الوافد الجديد بدأ تدريجيا يثير انتباهه ثم دهشته وأخيرا حذره بل خوفه . فلما نطق « زوسيموف » بعبارة : هذا راسكولنيكوف ، نهض فجأة كمن يجذبه « رفاص » وجلس على الديوان وقال بصوت خافت متقطع مليء بالتحدي :

ـ نعم انا راسكولنيكوف ! ماذا تريد ؟

ـ انا بيير بيتروفيتش لوجين واميل الى الاعتقاد بان اسمي ليس مجهولا تماما !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

غير ان راسكولنيكوف الذي كان ينتظر امرا مختلفا كل الاختلاف عما وقع ، نظر اليه ـ دون أن يجيب ـ نظرة ملؤها التبلد والشرود وكأنه لم يسمع بهذا الاسم الا للمرة الاولى ... فاعقب بيير بيتروفيتش بشيء من القلق :

ـ كيف ؟ هل يعقل انك لم تتلقَ حتى الان اي نبأ ؟ !

فكان جواب راسكولنيكوف ... كل جوابه ، ان عاد الى الاستفتاء بتمهل جاعلا يديه اسفل رأسه ومحدقا في السقف ! فبدا على وجه « لوجين » شيء من الانزعاج والحزن بينما كان زوسيموف ورازوميخين يتأملانه بفضول متزايد حتى اشتدت حيرته وبدت واضحة ! غمغم قائلا :

ـ كنت اعتقد واتوقع ان تكون الرسالة التي وضعت في البريد منذ عشرة ايام بل خمسة عشر يوما قد ...

فقاطعه رازوميخين فجأة بقوله :

ـ اسمع ! لم تبقَ واقفا هكذا بالقرب من الباب ؟ اذا كان لديك شيئا تفسره فاجلس ! ... وانت يا ناستاسيا انك تقفين هكذا على العتبة الضيقة ! تنحّي يا فتاة ودعي السيد يدخل ! تقدم ... هذا مقعد لك « فتسلل » لتصل اليه !

وازاح مقعدا فأبعده عن المائدة تاركا فراغا بين المائدة وركبتيه وانتظر وهو في ذلك الوضع القلق أن « يتسلل » الزائر في ذلك الفراغ القليل ليجلس على المقعد ! كان الموقف من الدقة بحيث تعذر عليه ان يرفض العرض فبادر الى المقعد وهو ينسل في ذلك الممر الضيق ويتعثر حتى اذا ما بلغ المقعد جلس عليه بعد ان القى نظرة مستريبة على رازوميخين الذي قال بصوت اشبه بالنباح :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لِمَ تقلق ؟ ان روديا مريض منذ خمسة أيام وقد كان يهذي خلال ثلاثة أيام كاملة ، أما الان فقد استعاد وعيه بل وأكل بشهية . وهذا هو طبيب يعوده وانا صديق روديا وطالب سابق كذلك ، وانا اقوم الان بدور المربية بالنسبة اليه فلا تلقَ بالا الينا ولا يزعجك وجودنا بل استمر وتحدث بما لديك !

فقال الزائر محدثا زوسيموف دائما :

ـ اشكركم ! ولكن الا اضجر مريضك بحضوري وحديثي ؟

ـ على العكس بل انك قد تسليه وترفه عنه ! وعاد يتثاءب من جديد !

كان رازوميخين يتحدث بلهجة مؤنسة صريحة محببة حتى ان بيير بيتروفيتش أبدل أخيرا سلوكه وشعر بارتياح اليه بعد انقباض. ولعل ما اكده ذلك « الصعلوك » من ان هو الاخر طالب سابق، احدث اثرا طيبا في نفس الضيف لذلك فقد استمع اليه حين قال :

ـ آه ... لقد استعاد شعوره وامتلك حواسه منذ صباح هذا اليوم !

فقال الضيف :

ـ ان امك ...

وافلتت حنجرة رازوميخين صوتا « هم ! » صدر عنها بصخب حتى ان لوجين لم يتماسك ان نظر اليه متفحصا مستفسرا فقال هذا :

ـ ان ذلك صدر عني بشكل لا ارادي فاستمر !

فهز كتفيه وقال متابعا :

ـ ان والدتك كانت قد بدأت في كتابة رسالة اليك عندما كنت اقيم معها في المدينة هناك ، فلما وصلت الى هنا ، تعمدت التريث كل

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هذه الايام لاتأكد من انك خلالها ستكون قد اطلعت على كل شيء ... وها انني لدهشتي البالغة ...

فقاطعه راسكولنيكوف فجأة وبلهجة مفعمة بروح التحدي :

ـ انا اعرف .. اعرف ! انك انت « المقبل » ! انا اعرف ذلك وهذا يكفي !

شعر بيير بيتروفيتش بالمهانة لهذا الجواب فصمت وحار في معرفة أسبابه فاستغرق في الصمت دقيقة طويلة .

كان راسكولنيكوف ـ الذي استدار نحو الزائر قليلا ليجيب على سؤاله ـ قد عاد فجأة يتفحصه بعينيه بفضول بين كما لو انه لم يتح له ذلك في المرة الاولى او ان شيئا جديدا في شخصية الضيف قد اثار انتباهه . لذلك فقد رفع رأسه عن الوسادة ليتسنى له القيام بمهمة التأمل والتفحص . والواقع ان مظهر بيير بيتروفيتش العاث لم يكن فيه ما يؤخذ عليه او يستوجب اطلاق كلمة « المقبل » التي نعته بها راسكولنيكوف خلال تصرفه البعيد عن التهذيب . كان يبدو أن بيتروفيتش لم يدع أيامه في العاصمة تمضي دون أن يستفيد منها في تجميل نفسه واصلاح شكله بانتظار خطيبته ، الامر الذي لم يكن غريبا بل على العكس منطقيا ومنتظرا . ولعله « هو » اعتقد ان مظهره غير مبالغ فيه لولا ان موقفه « كخطيب » على وشك الزواج جعله هدفا للنقد والتفحص . كانت ثيابه تبدو حديثة العهد بايدي الخياط وقد انسجمت وبدت كاملة رغم انها لم تكن جديدة كل الجدة فلم تكن والحالة هذه لتغني أو لتفضح الهدف الذي يرمي اليه صاحبها ، لكن القبعة الانيقة المستديرة الجديدة كل الجدة كانت تفضح تلك الغاية ، اذ كان ممسكا بها في يده بعناية ملحوظة وقد وضع فيها زوجا من القفازات يدا انه يستعملها للزينة لانها من ذلك النوع الذي يكتفى

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بحمله دون تغييب اليدين فيه . اما الثوب فكانت الالوان الزاهية تغلب عليه وتجعل لابسه يبدو أصغر سنا مما هو عليه . « فالسترة » كانت ذات لون رمادي فاتح والسراويل الصيفية زاهية وكذلك « صدارته » . اما القميص فكان ثمينا وقد تدلت منه ربطة من « الباتيست » الفاخر . كانت تلك الالبسة تبدو متفقة مع بيتروفيتش وقامته ، اذ كان وجهه نضرا رغم سنواته الخمسة والاربعين يعطي صاحبه سنا اصغر وقد زينه سالفان كستناويان طويلان يتكاثفان عند أسفل الفكين ويبرزان ذقنا نظيفة محلوقة بعناية . وكان شعره مرجلا ومجعدا بعناية ليس فيه ما يبعث على النقد على عكس ما يلاحظ عند ذوي الشعر المجعد عادة وكان يكسيه شكل العروس الالماني الصميم. أما اذا كان هناك شيء مزعج يؤذي البصر في ذلك الوجه الصارم الذي لا يخلو من جمال وخطورة فانه شيء آخر لا علاقة له بالقسمات. ولما انتهى راسكولنيكوف من معاينة وجه السيد لوجين هوى برأسه على الوسادة من جديد بعد أن ارتسمت على شفتيه ابتسامة مريرة . لم يتراجع السيد لوجين ازاء هذا التصرف المهين ، بل تمالك نفسه عازما على التغاضي عن ذلك الشذوذ فقال بيدد السكون الذي غمر الحجرة :

ـ انني شديد الاسف اذ أراك على هذه الحال ولو انني علمت انك مريض لجئت قبل الان ولكنك تدرك ان متطلبات العمل تشغل المرء : فلدي الان قضية مهمة جدا اراني مضطرا بصفتي محاميا الى عرضها على مجلس الشيوخ . هذا بصرف النظر عن المشاغل الكثيرة التي تدركها وانني انتظر اسرتك واقصد والدتك واختك بين لحظة واخرى ...

ابدى راسكولنيكوف حركة تشير الى انه يريد قول شيء لان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وجهه عبر عن انفعال معين فصمت بيير بيتروفيتش تاركا لـه الفرصـة للكلام ولما لم يتكلم اردف معقبا :

ـ ... من آن الى اخر . ولقد بحثت لهما عن مسكن .

فقال راسكولنيكوف بصوت ضعيف :

ـ ايـــن ؟

ـ غير بعيد من هنا ، في دار « باكالييف » .

فقاطعه رازوميخين قائلا :

ـ انه في شارع « آسانسيون » « شـارع الصعود » ان طبقتين منه مأجورتان لتاجر أسمه ايوستين ... لقد ذهبت الى هنـاك .

ـ نعم . وقد اخلاهما التاجر .

ـ انما المزعج فيهما والذي يثير الاشمئزاز ان حجراتـه قذرة كريهة تشبه الاكواخ وغير متناسقه وقد وقعت فيه امور غريبـة . والشيطان وحده يعرف من يسكن فيها . وقـد ذهبت ذات مرة الى هناك اثر مغامرة مريبة والميزة الوحيدة هي ان الاجور فيه رخيصـة .

ـ بالطبع . انني لم استطع الحصول على هذه المعلومات بسبب حداثة عهدي في المدينة غير أني استأجرت فيه غرفتين نظيفتين جدا . خصوصا وان اشغالهما المكان لن يدوم طويلا لانني وجدت مسكنا... اقصد مسكننا المقبل يا راسكولنيكوف ، والاستعدادات تجري الان فيه لترميمه وادخال التجـديد عليه . فـانني أقطن في الوقت الحاضر على شكل ما في غرفة مؤثثة على بعد خطوتين من هنا عنـد السيـدة « ليبيويشسل » في مسكن صديق شاب ، اسمه اندريه سيميونوفيتش ليبيزياتنيكوف وهو الذي دلني على بيت باكالييف .

نطق لوجين العبارات تبريرا للملاحظـات التي ساقها رازوميخين

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

في تعريضه بالمسكن الذي أعده لأم راسكولنيكوف وأختـــه ، وشعر بامتعاض لتدخل ذلك الشـــاب المـــاجن المستهتر . أما راسكولنيكوف لدى سماعه اسم صديق خطيب اخته غمغم وكأنه تذكر شيئا :

ـــ ليبيزيا تنيكوف ؟

ـــ نعم ، اندريه سيميونوفيتـــش ليبيزيـــاتنيكوف وهـــو موظف في احدى الوزارات . فهل تعرفه ؟

فأجاب راسكولنيكوف :

ـــ نعم ... لا ... !

ـــ عفوا خيل الي من سؤالك انك تعرفه . لقد كنت ذات يـــوم وصيا عليه وهو شاب لطيف جدا ومنطلق في الحياة الاجتماعية ثم انني احب معاشرة الشباب لان المرء يتعلم منهم اشياء جديدة .

وانتظر بيير بيتروفيتش موافقة الموجودين على ملاحظته الاخيرة فراح يجيل الطرف بينهم . سألهم راسكولنيكوف :

ـــ ما هو الدافع على ما تقول ؟

ـــ انه من أكثر الدوافع أهمـــية . فأنـــا مثلا لم أزر بيترسبورج منذ أكثر مـــن عشر سنين لـــذلك فـــان كل التبديـــلات التي حصلت والتجديدات التي ادخلت وتلك الفكر النيرة الجديدة ، كل ذلك لـــم يبلغ المقاطعات الاخرى حتى الآن وفي رأيي ان الانســـان الذي يريد أن يتعلم وان يساير العصر يجب عليه الاحتكاك بالجيل الجديد وانـــه ليسرني أن أعترف بهذه الحقيقة .

بدا السرور على وجه بيير بيتروفيتش للسؤال الذي القاه عليه راسكولنيكوف وظن انه وفق لارضائه بالجواب . غيـــر ان هـــذا عـــاد يقـــول :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لا زلت اسأل عن الدافع والعلاقة الموجبة له .

ـ ان سؤالك غير محدود فاذا لم اكن مخطئا استطيع القول انني اكتشف وجهات نظر اكثر وضوحا بل واتجاهات دقيقة وتفاهم عملي اوسع .

فقال زوسيموف :

اما رازوميخين فصاح مكذبا :

ـ أنت تكذب ! لا يوجد هنا تفاهم عملي لأن مثل هذا التفاهم يكتسب بصعوبة ولا يسقط عفوا من السماء . اننا منذ مائتي عام تقريبا فقدنا عادة الاعمال . والافكار التي تروج في الشوارع والرغبة في العمل الصالح موجودة حقيقة ولكنها ما زالت في طور التكوين ، صحيح ان الانسان ليصادف بعض النبل رغم ان نظرية « اذا لم ار لا اكون قد اخذت » تعتبر قاعدة بين النشالين واللصوص ولكن لا يوجد تفاهم عملي في كل الاحيان لان هذه « المعرفة » لا تسير عارية القدمين بل يلزم لها زوج من الاحذية وانت تفهم ما اعني .

فأجاب بيير بيتروفيتش بسرور واضح :

ـ اذا لست من رأيك [illegible] نعم لا انكر وجود بعض الفوضى والتطرف في الآراء انما ينبغي للمرء أن يكون عادلا ... ان هذا التطرف يشهد بأن القضية [illegible] وأن الظروف الخارجية ليست تماما كما ينبغي أن تكون . فاذا كنا لا نعمل الا قليلا فذلك لاننا لم نجد بعد الوقت الكافي وانا طبعا اتكلم عن الوسائل . انني اعتقد شخصيا بأن هناك بعض ما يمكن أن يقال عنه بأنه صنع أو « كان » : ذلك ان الافكار الجديدة النافعة قد انتشرت كما انتشرت بعض المؤلفات الجديدة النافعة فحلت محل الاحلام والخيالات التي كنا نعيش فيها ونضج الأدب وتبخر عدد كبير من الاعتقادات السقيمة

CVISION Technologies
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

المضرة وبالاختصار فقد انفصلنا نهائيا عن الماضي وباعتقادي ان ذلك ليس بالشيء القليل !

فغمغم راسكولنيكوف قائلا :

ـ استمر ... تبجح ... استمر في تبجحك ،

فقال بيير بيتروفيتش الذي لم يسمع قول راسكولنيكوف :

ـ ماذا قلت ؟

غير أن راسكولنيكوف لم يجب • وبادر زوسيموف متدخلا يقول :

ـ ان ما قلته لعين الصواب •

فاسترسل بيير بيتروفيتش بعد ان القى نظرة ودية على زوسيموف :

ـ أليس كذلك ؟

ثم استدار الى رازوميخين واردف بلهجة انتصار :

ـ وانت نفسك ! الا توافقني على ان هناك خطوات الى الامام او كما يقال « مجهودا » حتى ولو اقتصر ذلك على العلم والحقائق الاقتصادية ؟

فأجاب رازوميخين :

ـ انها افكار مكررة مبتذلة !

ـ كلا ! انها ليست اشياء مبتذلة • خذ مثلا : لقد قيل لي حتى اليوم : « احبب مستقبلك » فأجبته : فماذا نجم عن ذلك ؟ لقد نجم عنه حتى الان انني مزقت معطفي الى جزئين فاصبحنا كلانا عاريين عملا بالمثل القائل : « عندما يطارد المرء ارانب معا لا يصطاد واحدا منها » • أما العلم فانه يقول : « احبب نفسك قبل الاخرين لان العالم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كله مرتكز على النفعية الشخصية فعندما لا تحب الا نفسك فقط تقوم بأعمالك كما ينبغي ويبقى معطفك كاملا » والاقتصاد السياسي يضيف انه كلما اكثر المرء من ابتكار اعمال خاصة في المجتمع او بمعنى اوضح : كلما ازدادت المعاطف الكاملة ، كلما كانت المنشآت اقوى والأعمال العامة أكثر ترتيبا ونظاما . اذن عندما اقتني ممتلكات شخصية تماما فانني اقتنيتها في نفس الوقت للجميع وينتج عن ذلك ان يفوز مستقبلي باكثر من معطف ممزق وليس ذلك بفضل السعة الخاصة الشخصية انما بنتيجة المجهود العام . فالفكرة اذا سهلة ولكنها وللاسف استغرقت زمنا طويلا حتى وصلت رغم ما يبدو عليها من انها لا تستوجب لفهمها وهضمها ذكاء خاصا ...

ـ عفوا ... انه ينقصني الذكاء انا ايضا لذلك افضل ان نتوقف عند هذا الحد . وقد كان لي هدف عند ما بدأت هذه المناقشة وبالتالي الثرثرة التي تبعث على الغثيان . ان كل هذه الافكار المبتذلة الموضوعية تثير اشمئزازي منذ ثلاث سنين حتى انني اخجل ليس فقط من التحدث عنها بل ومن سماع الاخرين يتحدثون فيها . ولا شك انك استصوبت اطلاعنا على مدى معرفتك وانا لا الومك على ذلك بل اجد لك العذر . انما الغاية كانت محاولة معرفة من تكون لان في هذه الايام الاخيرة اغري عدد كبير من فرسان المال والاعمال بهذه الفكرة ـ ولا شك انك تعلم ـ حتى انهم افسدوا كل ما مدوا اليه أيديهم لاستثماره فدنسوا بذلك كل شيء ! وفي هذا الكفاية ...

احتج السيد لوجين وقال مستنكرا وهو يتصنع الاصابة بجرح في كرامته :

ـ سيدي لعلك لا تريد التلميح بأنني ...

فقاطعه رازوميخين بلهجة حاسمة :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ آه .. العفو .. العفو !.. هل يمكن ان اكون فكرت في هذا ؟ هبا كفى !...

وهكذا شعر بيير بيتروفيتش ان من الخير له ان يتقبل هذا الرد على علاته وأن يعمل على مغادرة الغرفة فقال محدثا راسكولنيكوف :

آمل ان يصبح التعارف الذي تم بيننا الان اكثر توثقا في المستقبل بعد ان تكون قد ابللت من مرضك وانني اتمنى لك صحة جيدة لتكون متمتعا بقواك استعدادا للمناسبة التي لا تجهلها .

ولما لم يلتفت راسكولنيكوف اليه هم بالنهوض بينما كان زوسيموف يتحدث الى رازوميخين وكأن بيير بيتروفيتش غير موجود في الغرفة :

ـ اعتقد جازما ان واحدا من زبائن العجوز قد قتلها .

فأجاب رازومبخين موافقا .

ـ لا شك ! صحيح ان بورفير لا يصرح بآرائه غير انه يستجوب كل من اودع العجوز رهينة .

فقال راسكولنيكوف بصوت مرتفع :

ـ يستجوبهم ؟

ـ نعم وماذا في ذلك ؟

ـ لا شيء .

واستطلى زوسيموف مستفسرا :

ـ ولكن كيف يعرفهم ؟

قد ازدادت بين الاوساط الدنيا ، كما وان السلب والحرائق تكاثرت على الاوراق التي لفت فيها رهائنهم . وهناك اشخاص جاؤوا من تلقاء انفسهم حينما بلغهم النبأ .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ على هذا فان الذي قام بهذا العمل يكون ولا شك عديم التجربة سافلا ! يا لها من عملية !

ـ انا واثق انه ليس كما تقول وان هذه هي النقطة التي تخدعكم جميعا ! انني اعتقد ، رغم ما انا عليه من جهل وقلة تجربة ، بانه ليس من الحاذقين ولا من العريقين في الاجرام وان هذه الجريمة هي اولى جرائمه . فلو انه كان مجرما عريقا ماهرا لكانت هذه النتائج غير قابلة للتصديق . اما وان المجرم غير خبير ، فاننا نستنتج ان الصدفة وحدها هي التي اخرجته من ورطته ، والصدف شديدة التأثير في الحياة ! فكر بانه لم يكن قد تصور وجود عوائق ثم لاحظ كيف اتم الامر : لقد اخذ اشياء تتراوح قيمتها بين عشرين وثلاثين روبلا حشا بها جيوبه بينما كان في الدرج العلوي من الخزانة علبة صغيرة تحوي على الف وخمسمائة روبل من النقد الفضي باستثناء الاوراق النقدية . فهو اذا لم يحسن الا القتل واخفق في السرقة ، ومن ذلك يستدل على انه مبتدىء فقد اعصابه ثم انسحب ، اي ان الامر تم بمحض الصدفة وليس بناء على تصميم وحساب دقيق !

قال بيير بيتروفيش مخاطبا زوسيموف بقصد الاشتراك في الحديث :

ـ انكم تتحدثون على ما اعتقد عن مقتل العجوز ارملة الموظف . اليس كذلك ؟

طرح هذا السؤال وهو واقف وقبعته وقفازاته في يده وكأنه اراد قبل ان يبارح الحجرة ان يلقي ببضع كلمات حكيمة ليخلف وراءه اثرا طيبا بعد ان تغلب فيه الغرور على العقل .. فأجابه :

ـ نعم هل سمعت عنها شيئا ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ كيف لا ؟ لقد سمعت من الجيران .

ـ هل تعرف التفاصيل ؟

ـ لا اعتقد . انما يثير اهتمامي في هذه القضية ما يعتريها من ملابسات وما سيعقب عنها من نتائج وكذلك المعضلة التي تتمثل في الجريمة نفسها . انني الاحظ ان الجرائم في السنوات الخمس الاخيرة قد ازدادت بين الاوساط الدنيا ، كما وان السلب والحرائق تكاثرت في كل مكان واصبحت تقع دون انقطاع ، ومما يزيدني دهشة ان الاجرام بين الطبقات العليا أخذ يزداد بنسبة مماثلة حتى لكأنه يسير مع ما يحدث في الاوساط الدنيا على خطين متوازيين . فهنا مثلا طالب سابق يداهم عربة بريد على الطريق العام ، وهناك اشخاص من النيرين الواعين البارزين في الهيئة الاجتماعية يزورون الاوراق النقدية. وقد اوقفوا في موسكو مؤخرا عصابة من المزورين كانوا يعملون في بانصيب القرض الاخير . حتى ان واحدا من المتهمين الرئيسيين يحتل كرسي التاريخ العام في الجامعة ، وفي امكنة اخرى اغتيل احد امناء سر سفاراتنا في الخارج لسلبه ما معه من نقود ولاسباب اخرى اكثر سرية . فاذا كانت هذه المرابية قد قتلت بيد واحد من الطبقة العليا ـ لانني اعتقد ان ابناء الطبقة الفقيرة لا يمتلكون اشياء ذهبية يرهنونها لديها ـ فكيف نفسر هذا الفساد الجامح الذي يسيطر من جزء كبير من محيطنا المثقف ؟

اجاب زوسيموف :

ـ اعتقد ان للانقلابات الاقتصادية تأثيرا كبيرا .

وقال رازوميخين معقبا :

ـ كيف تفسرها ؟ الواقع انها تفسر تماما بانعدام التفاهم العملي ... ذلك الانعدام المزمن .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ماذا تريد ان تقول ؟

ـ حسنا ، ماذا اجاب في موسكو استاذك الجامعي عندما سئل عن سبب اصداره نقدا مزورا ؟ اعتقد انه قال : « ان الناس كلهم يتهافتون على الثروة والغنى بكل الوسائل وانني أنا كذلك أردت أن اثري بسرعة. » انا لا اذكر كلماته على الضبط لكن فكرة الثراء العاجل بأقل التكاليف واقل العناء هي التي تذرع بها . فقد درجت العادة بل اقول لقد اعتاد الناس حتى اليوم على لون من الحياة يقتصر على الكفاف بل أن بعضهم يعيش عالة على غيره . فلما دقت الساعة اظهر كل منهم ما يستطيع عمله وما يختزنه من امكانيات ...

ـ ولكن هناك دائما الاخلاق ؟.. القوانين ! و ...

وهنا فقط تدخل راسكولنيكوف بشكل غير منتظر وقال :

ـ ولكن ماذا يزعجك ؟ ان ذلك الا نظريتك في حالة التطبيق !

ـ كيف نظريتي ؟

ـ اشرح نتائج ما تحدثت عنه منذ حين كمبدأ وناقشه تجد انه ينجم عنه جواز قتل الناس .

فهتف لوجين :

ـ رحماك يا رب !

بينما قال زوسيموف :

ـ كلا ان الأمر ليس كذلك .

اما راسكولنيكوف فقد كان شاحبا وقد راحت شفته العليا ترتعش وهو يتنفس بصعوبة زائدة بينما تابع لوجين بلهجة متعالية قائلا :

ـ ان هناك حدودا لكل شيء ، فالفكرة الاقتصادية ليست دعوة للقتل حتى أنه لو افترض فقط ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقاطعه راسكولنيكوف بصوت يهزه الغضب ويشوبه لون من السرور الاثيم :

ـ أصحيح انك قلت لخطيبتك في اللحظة التي أعربت لك عن قبولها بك انك سعيد لانها فقيرة وانه من الافضل والاصوب ان يتزوج المرء امرأة لا تملك نقيرا ليحتفظ الزوج لنفسه بالغلبة والتفوق ؟ أي انك بذلك تستطيع دائما التغني بفضلك عليها ؟

فصاح لوجين بصوت مضطرب وقد اعماه الغضب :

ـ سيدي ... سيدي .. انت تشوه فكرتي . ولكن اسمح لي ان اقول بان الشائعات التي تناهت اليك ليس لها ظل من الحقيقة وانني اخمن ان .. بكلمة واحدة ان هذا السهم ... بكلمة واحدة انها امك . والى جانب ذلك فقد بدت لي رغم صفاتها الممتازة العقلية مبالغة وخيالية في أفكارها . رغم ذلك فانني ما كنت انتظر أو أظن ان باستطاعتها النظر الى قولي ذاك خلال منظار كهذا .

فزمجر راسكولنيكوف وهو يتناهض بمجهود عنيف وفي عينيه نظرة متوعدة وقال :

ـ هل تعلم ؟ هل تعلم ؟

ـ ماذا ؟ ماذا ؟

كان في عيني لوجين وهو ينطق بهذه الكلمة معنى الاستنكار والتحدي وانتظر الجواب وهو واقف وران الصمت .

فاجابه راسكولنيكوف :

ـ اعلم انه اذا وجدت في نفسك مرة اخرى الجرأة على التلفظ بكلمة واحدة تمس بأمي فانني اسفل السلم ورأسك في المقدمة !

وهتف رازوميخين :

ـ ماذا دهاك ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بينما كان لوجين ممتقع الوجه يعض شفته حنقا ويقول :

ـ اذا هكذا ، اسمع يا سيد ـ وتمالك نفسه برهة رغم ان الغضب كان يخنق صوته ـ اسمع : منذ حين لما دخلت لاحظت استقبالك البارد فجلست عمدا لأعرف الى أي مدى تبلغ بك القحة. وقد كنت مستعدا للصفح عن كثير مما يصدر عن مريض وقريب بنفس الوقت اما الان فانني لن اصفح ابدا .

فصرخ راسكولنيكوف محنقا :

ـ انا لست مريضا .

ـ ذلك اسوأ .

ـ اذهب الى الشيطان .

لكن لوجين كان قد خرج دون ان ينتظر هذا الوداع وقد خرج « بتسللا » بين الطاولة والمقعد كما دخل بينما كان رازوميخين قد تراجع قليلا ليسمح له قبل رحيله بمصافحة زوسيمون الذي كان يشير اليه بترك المريض دون اثارة ، وهكذا انسحب لوجين رافعا بعناية قبعته الى ارتفاع كتفه في اللحظة التي كان يتحني فيها ليجتاز عتبة الغرفة وقد بدا عليه انه محنق جدا .

قال رازوميخين وقد بدا الارتباك على وجهه :

ـ كيف تصرفت على هذا الشكل ؟

فاجابه راسكولنيكوف صارخا :

ـ دعوني ، دعوني جميعا ... اخرجوا ايها السفاحون انا لا اخاف منكم .. انا لا اخاف احدا .. احدا .. اخرجوا من هنا ... اريد ان ابقى وحيدا ! وحيدا ! وحيدا ! .

فقال زوسيموف وهو يشير برأسه الى رازوميخين :

ـ هيا بنا !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لكن ... هل يمكن ان ندعه هكذا .

فكرر زوسيموف بالحاح :

ـ هيا بنا ..!

ولم ينتظر بل خرج وبقي رازوميخين برهة يفكر ثم ركض يتبعه .

وبينما كان زوسيموف يهبط السلم قال لرازوميخين :

ـ لو اننا نخرج نزولا عند رغبته لبلغ به الامر اسوأ من ذلك اذ ينبغي ان لا نثيره .

ـ لكن ماذا دهاه ؟

ـ ينبغي ان يتلقى نبأ سارا . هذا كل ما يلزمه . منذ لحظة كان متمالكا قواه ولعلك لاحظت ان في رأسه فكرة معينة تعذبه وهذا ما اخشاه . نعم انني اخشى ذلك .

ـ يبدو ان هذا السيد بيير بيتروفيتش سيتزوج اخت راسكولنيكوف كما استنتجت من الحديث الذي دار بينهما وان روديا قد اطلع قبل مرضه على هذا الامر بواسطة رسالة .

ـ نعم . وهو الشيطان الذي أتى به ولا شك في هذه اللحظة . اخشى ان يكون قد افسد كل شيء . لكن الم تلاحظ انه لم يكن يبالي بشيء باستثناء امر واحد كان يخرجه من ذهوله وهو هذه الجريمة ؟

ـ نعم ! نعم ! لقد لاحظت ذلك بوضوح ! انه يهتم بهذه الجريمة ويفكر فيها واعتقد ان السبب راجع الى انه في ذات اليوم الذي مرض فيه رهبوه قليلا في دائرة البوليس وقد اغمي عليه هناك .

ـ سوف تقص علي ذلك بالتفصيل هذا المساء . وسأقول لك بعدئذ شيئا . انه ليثير اهتمامي كثيرا ولسوف أعود لاستعلم عنه بعد ساعة . على كل حال لن يحدث ارتفاع في الحرارة .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ اشكرك وخلال هذا الوقت سأنتظرك عند باشانكا وسأراقبه بواسطة ناستاسيا •

القى راسكولنيكوف نظرة ملتهبة تفيض بالانزعاج على الخادم التي بقيت في الغرفة • وادركت هذه انه يرغب اليهـــا ان ترحـــل فقالت تسألـــه :

ـ هل تأخذ جرعة من الشاي الان ؟

ـ كلا ! دعيني الان اريد ان انام •••

وبحركة تشنجية ، استدار الـى الجـــدار بينمـــا انسحبت ناستاسيا من الحجرة •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٦

لم تكد تخرج ناستاسيا من الحجرة حتى نهض واقفا وهرع الى الباب يدفع المزلاج وراءه ثم عاد الى الرزمة التي اتى بها رازوميخين ففتحها وراح يرتدي الملابس التي كانت فيها • كان هادئا جدا حتى ليخيل الى الناظر اليه انه لم يكن منذ لحظات فريسة هذيان ورعب قاتلين لم يبارحاه طيلة الايام الاخيرة • شعر في تلك اللحظة بهدوء وراحة بال عجيبين فكانت حركاته دقيقة وثابتة وكأنه اتخذ فجأة قرارا حاسما • كان يدمدم « اليوم بالذات ••• » وهو يعرف انه ضعيف • لكن قوة روحية جبارة كانت تجعله في صحو فكري تام وتعطيه قوة وثقة •• كان يرجو ان يستطيع الصمود خوف السقوط !

ارتدى الملابس الجديدة التي اتاه بها صديقه وحدق برهة في المال الموضوع على الطاولة وهو يفكر ثم اودعه جيبه ! كان يملك خمسة وعشرين روبلا الى جانب « الكوبيكات » التي بقيت له من قيمة الملابس التي اشتراها رازوميخين • رفع المزلاج بهدوء وخرج من الحجرة وراح يهبط السلم حتى اذا ما بلغ باب المطبخ « العتيد » الذي كان ابدا مفتوحا ألقى عليه نظرة سريعة • كانت ناستاسيا واقفة هناك محنية الظهر في « سماور » سيدتها فلم تسمع صوت خطاه خصوصا وان فكرة فراره لم تكن لتخالج رأس احد وهكذا لم تمض دقيقة ثانية حتى كان في الشارع •

كانت الساعة الثامنة مساء والشمس على وشك المغيب والجو خانق كأمس تماما • لكنه راح يتنفس بشوق ولهفة وكأنه كان محروما من الهواء ، راح يتنفس ذلك الهواء العامر بالغبار والمرض الذي ترزح تحت وطئتها أجواء المدينة الكبرى• شعر بدوار خفيف في رأسه لكن لونا من الحيوية الوحشية تجاوبت في اعماقه فالتمعت بها عيناه الملتهبتين وظهرت واضحة على وجهه الناحل الهضيم • كان لا يعرف أين يتجه بل انه لم يفكر في ذلك مطلقا • كان كل ما يهمه في تلك اللحظة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هو تنفيذ الرغبة التي تصطخب في رأسه : « القرار والانتهاء » اليوم بالذات ودفعة واحدة ... فورا والا فانه لن يعود الى مسكنه لانه « ما كان يريد أن يحيا على ذلك المنوال ! » . لكن كيف « ينتهي » وباية وسيلة ؟ ذلك ما لم يكن لديه اية فكرة عنه بل انه ما كان يفكر في ذلك ابدا ! كانت تلك الفكرة تعذبه لذلك فقد كان يبعدها دائما كلما خطرت له . انما كان يحس بان الامور ينبغي لها ان تنتهي على شكل من الاشكال ، مهما وقع ! كان يردد ذلك بيأس وتأكيد وثقة !

تبع الطريق التي كان يتبعها في نزهاته السابقة مدفوعا بحكم العادة واتجه نحو « سوق العلف » ! وقبل أن يصل الى السوق ، شاهد على الرصيف امام دكان بائع عاديات ، شابا اسود الشعر يعزف على آلة موسيقية تنبعث منها الحانا عاطفية شجية ترافقه فتاة صغيرة في الخامسة عشرة من عمرها مرتدية ثيابا رشيقة : « تنورة » من قماش رخيص و « شال » خفيف ، وفي يديها زوج من القفازات وعلى رأسها قبعة كبيرة من القش تزينها ريشة بلون اللهب تبدو في مجموعها خلقة بالية . كانت تغني امام الدكان بصوت متصدع يشبه صرير المدأب ، منتظرة احسانه الذي لا يتجاوز « الكوبيكين » بحال فتوقف راسكولنيكوف ينصت الى غنائها منضما الى مستمعين او ثلاثة مهتمعين كانوا هناك ثم اخرج من جيبه قطعة من ذات الخمسة كوبيكات اودعها راحة الفتاة ... وفجأة قطعت هذه غناءها ــ وكانت قد بلغت طبقة مرتفعة جدا شديدة الحساسية مفعمة بالعاطفة ــ وهتفت بالعازف قائلة : « كفى ! » . ثم مضت ترافقه بخطى متمايلة لتقف امام الدكان التالية !

سأل راسكولنيكوف فجأة احد المارة واقفا بالقرب منه ينصت الى المغنية المنسولة وعليه سمات المتسكعين :

ــ اتحب اغاني الشارع ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فبوغت الرجل لهذا السؤال بينما استرسل راسكولنيكوف يقول وكأن الأمر لا يتعلق الا بأغاني الشوارع وأثرها في النفوس :

ـ اما انا فأحبها ! انني احب الاستماع الى الغناء على نغم هذه الآلة الموسيقية التي يحملها هذا الموسيقي المتجول خصوصا في ليالي الخريف المعتمة الرطبة الباردة حيث تكون وجوه المارة مخضرة مريضة. كما أزداد حبا للاستمتاع بهذا الغناء عندما تتساقط الثلوج دون أن يصحبها زفيف الرياح فتلتمع مشاعل النور خلال الثلج . أترى هل تتمثل الصورة التي اصفها ؟ .

غمغم السيد مذعورا وقد ازعجه السؤال والمظهر الغريب الذي كان راسكولنيكوف يبدو فيه وقال :

ـ لست ادري ... عذرا ... ثم انسحب الى الجانب الآخر من الشارع .

استمر راسكولنيكوف ماشيا دون ان يلتفت حوله حتى وصل الى زاوية « شارع العلف » حيث كان البائع وزوجته يتحدثان مع اليزابيت منذ أيام . لكنه لم يشهدها في تلك اللحظة . توقف برهة في المكان الذي كان البائع وزوجه يقفان فيه ذلك اليوم وراح ينظر حوله فاذا بفتى يلبس قميصا احمر يتثاءب امام دكان تاجر حبوب فسألـه :

ـ أتعرف الرجل الذي يقف هنا وزوجه ويتعاطيان بيع الحاجيات المستعملة انه « بورجوازي » أليس كذلك ؟

فأجاب الفتى وهو يحدج راسكولنيكوف بنظرة استغراب :

ـ ان الوسط التجاري يضم عددا كبيرا من الاشخاص .

ـ ماذا يسمونه ؟

ـ ينادونه باسمه !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لكن انت ! الست من زارائيك ؟ من اية مقاطعة انت ؟

فعاد الفتى ينظر الى راسكولنيكوف باستغراب وقال :

ـ انني حيث اقيم يا صاحب السعادة نطلق على المنطقة اسم أقليم وليس مقاطعة ! وأخي يقيم فيه أما أنا فقد بارحته منذ زمن ولا اعرف عن اخباره شيئا فارجو سعادتكم ان تتفضلوا بقبول عذري !

ـ أهي دكان شواء هذه التي في اعلى ؟

ـ بل انها حانة وفيها منضدة « بليارد » وقد يرى الانسان فيها بعض « الاميرات » .

اتجه راسكولنيكوف نحو القسم الاخر من الساحة فشاهد بالقرب من منعطف هناك جماعة من « الموجيك » كبيرة العدد ، فراح يحشر نفسه بين الصفوف يتفحص الوجوه . كان يشعر بدافع يحبب اليه تبادل الحديث مع الناس. لكن اولئك« الموجيك » ما كانوا يلقون بالا اليه بل كانوا مجتمعين جماعات جماعات يتداولون في اعمالهم . توقف برهة ثم قرر المضي نحو شارع « ف ... » مخلفا وراءه « سوق العلف » مارا بزقاق جانبي .

كان ذلك الاتجاه مألوفا لديه فهو يعرف تماما ذلك الزقاق الذي يجتازه ينعطف في نهايته ويؤدي الى شارع الحدائق ... وكان يشعر في الايام الاخيرة برغبة تجتذبه الى تلك الامكنة كلما امتلكه الاشمئزاز « ليزيد في اشمئزازه » كما كان يقول !

أما في تلك اللحظة فقد كان خالي الذهن تماما . كان هناك بناء كبير يحتوي على عدد كبير من الحانات والمطاعم ودكاكين الشواء ، وكان بعض النسوة يخرجن بين الحين والحين يغمرهن الهناء وهن في ابهى زينة يرفلن في الثياب الغالية . كن يجتمعن في امكنة معينة على الرصيف جماعات جماعات قرب مداخل بيوتات مرحة تشغل بعض

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الاقبية ! وكان يتصاعد من واحد من تلك الامكنة صخب لطيف كان يعم وينتشر في الشارع كله وكانت اصوات القيثارة تعلو ترافقها انغام غناء جميل والجو منعم بالبهجة والمرح • شاهد هناك عددا من النسوة يتهافتن على المدخل مسرعات حتى ان بعضهن كن جالسات على درجات السلم واقفات على الرصيف يتحدثن ••• وعلى مقربة منهن كان جندي ثمل واضعا سيجارته في فمه يمشي مترنحا بخطوات متمايلة وهو يصرخ شاتما وكأنه خرج من مكان ثم نسي طريق العودة اليه • وفي الزاوية الاخرى كان صعلوك يتبادل السباب القبيحة مع آخر من طرازه بينما كان رجل مستلقيا على أرض الشارع فاقد الرشد من شدة الثمل •

توقف راسكولنيكوف امام الجمع الاكبر من النساء وكن يتحدثن باصوات مرتفعة وهن مرتديات اثوابا من الحرير الهندي الفاخر وفي اقدامهن احذية من جلد الماعز وكلهن عاريات الرؤوس ! كان لبعضهن اكثر من اربعين عاما واخريات لا يتجاوزن السابعة عشرة لكنهن كن منتفخات العيون !

كان الغناء والصخب المنبعثان من ذلك المكان يجذبان لغير ما سبب واضح انتباه راسكولنيكوف • انحنى على المدخل وهو في مكانه على الرصيف وراح يصغي حالما متجها الى صوت يغني :

ان عملاقي الجميل الصغير
لا يضربني لغير ما سبب !

وكان هناك وسط الضحكات والصيحات المرحة ، وقع خطى موزون كذلك الذي يصدر عن الراقصين والراقصات على الحلبة عندما يرقصون على ايقاع لحن مثير ••• وكان صوت المغني لا يزال يردد تلك الاغنية وراسكولنيكوف يحس في قرارة نفسه برغبة عنيفة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لسماعها وكأنها كانت غايته التي يسعى وراءها ! تمتم يخاطب نفسه : « ماذا لو دخلت ؟ انهم يصخبون ويضحكون وهم سكارى فلم لا احذو حذوهم واثمل كخنزير ! »

سمع صوت سيدة يقول له :

ـ ألا تدخل يا سيدي العزيز ؟

كان الصوت موسيقيا عذبا وكانت المتكلمة شابة فتية تفـــوق صويحباتها جمالا .. فصعدها بنظرة متفرسة وهتف معجبا :

ـ آه ما اجملـــك !

ابتسمت الفتاة وقد أطربها الاطراء وقالت :

ـ وانت شاب جميـــل !

وهتفت سيدة بصوت كريه معقبة :

ـ جميل ؟ انه لا يملك الا العظام والجلد أكمـــن خرج مـــن المستشفى اليوم ولعله صحيـــح !

وتدخل احد الفلاحين « الموجبك » وقال وهو يقترب :

ـ يبدو انهن من بنات « الجنرالات » رغم ذلك فانهن لا يترفعن عن حشر انوفهن في هذه البؤر !

وقـــالت الفتـــاة :

ـ هيا ادخل طالما انت هنا !

ـ سأدخل يا جميلتي !

وهبط الدرجات الى مدخل المرقص بينما هتفت الفتاة بصـــوت يتجلى فيه الخجل :

ـ اسمع ! سأكون سعيدة يا سيدي اللطيف في قضاء بضـــع ساعات معك لكنني الان اشعر بشيء من الارتباك في حضرتك فلـــو اعطيتني يا فارسي الجميل ستة كوبيكات لشربت كأسا في صحتك .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مد راسكولنيكوف يده الى جيبه واخرجها حاملة خمسة عشر كوبيكا اعطاها للفتاة فقالت :

ـ يا لك من رجل طيب !

ـ ما اسمك

انني ادعى دوكليدا :

وهتفت واحدة من النسوة قائلة :

ـ يا له من اسلوب زري ! كيف تتسولين يا دوكليدا بهذا الشكل ؟ انه ليملؤني خجلا مميتا .

رفع راسكولنيكوف عينيه بفضول وحدج المتكلمة بنظرة صارمة. كانت سيدة في الثلاثين من عمرها ذات وجه مشوه بالجدري تشوبه بقع زرقاء وشفتها العليا منتفخة . كان يبدو عليها الهدوء والجد وهي تتلفظ بتلك العبارة .

ابتعد راسكولنيكوف ومضى يفكر في موقفه وتصرفه ويغمغم :

ـ اين قرأت يا ترى ان احد المحكومين بالاعدام قال قبل تنفيذ الحكم فيه : « واذا اتيح لي ان اعيش في مكان ما على قمة صخرة دون أن يكون أمامي أكثر من قدمين من المجال الحيوي الذي يفصلني عن الهاوية او على نتوء وسط محيط خضم وظلمات ابدية تهددني العواصف العاتية حتى انه يستحيل العيش الا في مساحة لا تزيد على قدم مربعة واحدة ، ولو أن الحياة كانت مع ذلك ألف عام أو أبدية لا تنتهي فانني لافضل ان اعيش بتلك الشروط القاسية على ان أموت فورا ! الحياة ! ولا شيء الا الحياة ! الحياة وعلى اية صورة كانت ! الحياة وحسب ! ؟ » انها حقيقة هائلة يا الهي ! ان الانسان نذل ، ونذل ايضا ذلك الذي يصمه بالنذالة من اجل هذا .

بلغ في مسيره باليه ده كريستال وراح يحدث نفسه قائلا :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ هيه ! قصر البلور ! منذ حين كان رازوميخين يحدثني عنه • ولكن ماذا كنت اريد ؟ نعم ، صحيح ، القراءة ! لقد قال زوسيموفو انه قرأ التفصيلات في الصحف •

دخل مشربا وسأل :

ـ هل لديكم صحف ؟ وسرح طرفه فيما حوله : كان المشرب انيقا جدا متسعا مؤلفا من خمس غرف تكاد تكون خالية من الزبائن وكان في أحد الاركان ثلاثة رجال يحتسون الشاي وفي غرفة ثانية اربعة أشخاص جالسين الى مائدة يحتسون « الشامبانيا » خيل الى راسكولنيكوف ان احدهم هو زاميوتوف لكنه لم يكن متأكدا نظرا لبعد المسافة مع ذلك فقد تمتم يشجع نفسه :

ـ وماذا يهمني أن يكون ؟

سأله النادل :

ـ أتريد عرقا ؟

ـ كلا ! بل كأسا من الشاي • ثم ائتني بالصحف القديمة • الصحف التي صدرت منذ خمسة ايام وسأعطيك مكافأة صغيرة •

ـ ليكن ! ها هي ذي صحف اليوم ! أتريد كذلك قدحا من العرق •

رفض راسكولنيكوف العرض واكتفى بالشاي والصحف وراح يبحث بينها هذه صحيفة : « ايزلر •• الازنيك •• الازنيك •• ايزلر •• بارتو •• ماسيمو •• الازتيك ، ايزلر ، يا لجهنم ! آه هذه اخيرا اخيرا الاخبار المتفرقة : امرأة سقطت من اعلى السلم ••• تاجر اختنق بسبب الادمان على تعاطي الكحول ، حريق في « شارع الرمال » ••• حريق في حي بيترسبورغ ••• حريق آخر في حي بيتروسبورغ ايضا ••• ايزلر ، ايزلر ، ايزلر ، ايزلر ••• ماسيمو ••• واخيرا ••• آه :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وجد ما كان يبحث عنه فراح يقرأ بينما كانت السطور تتراقص امام عينيه واستطاع ان يقرأ الشرح حتى النهاية ثم اخذ يبحث كالمحموم عن الاخبار الاخيرة في العدد التالي . كانت حركاته توحي بالسرعة التي تتلهف اليها نفسه . وبينما هو يتصفح الصحف شعر بشخص يجلس بجانبه الى المائدة فلما نظر اليه وجد انه زاميوتوف بلحمه ودمه وبمظهره المعهود : الخواتم الذهبية ، والسلاسل والشعر الاسود المجعد المضمخ المفروق من الوسط و « صدارته » الانيقة و « الرودنجوت » المتناسق ! ..

كان وديعا او على الاقل باسما بشيء كثير من الوداعة . ملتمع العينين من تأثير « الشامبانيا » هتف وكأنه دهش للقاء صديق قديم :

ـ كيف ؟ انت هنا ؟ لقد اكد لي رازوميخين البارحة ايضا انك فاقد الوعي ! غريب ! أتدري قد زرتك مرة في حجرتك ؟

كان راسكولنيكوف متأكدا من أن زاميوتوف سيتصل به . لذلك فقد ترك الصحف واستدار نحوه وعلى ثغره ابتسامة هادئة تحمل معنى من معاني التبرم وقال :

ـ لقد أبلغت انك زرتني وانك حملت الي قطعة حذائي . ولعلك لا تدري ان رازوميخين كلف بك منذ ان ترافقتما للذهاب الى سكن لويز ايفانوفنا التي كنت تسعى للدفاع عنها ذلك اليوم . لقد كنت تغمز بعينك الى « الملازم البارود » دون ان يفهم غايتك . هل تذكر ؟ كان الامر واضحا ومفهوما تماما ! أليس كذلك ؟

ـ يا له من مسل !

ـ « البارود » ؟

ـ كلا بل صديقك رازوميخين .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لكنك يا سيد زاميوتوف تعيش عيشة مرحة ولا يفوتك ارتياد مثل هذه الامكنة كثيرة النفقات . وعلى فكرة . من الذي دفع عنك ثمن الشامبانيا منذ حين .

ـ انني اتمتع بالخيرات الكافية فلم تعتقد ان هنالك من يدفع عني ثمن الشراب ؟

ـ اذن فهو يقدم اليك بدون مقابل ! انك تستغل كل شيء ثم ضحك واردف :

ـ لا بأس عليك ايها الفتى الشجاع ! لا بأس . انا لم اقل ذلك لاثير حفيظتك انه لمجرد « الدعابة فقط » كما كان يقول الدهان عندما كان يتحف ميتكا اي « دميتري » بالكلمات . اتذكر ذلك ؟ انها حادثة العجوز .

ـ لكن انت كيف عرفت هذا ؟

ـ قد اكون عارفا باكثر مما تظن .

ـ يا لك من رجل تتصنع الغموض ! لا شك انك لا زلت مريضا . لقد اخطأت بالخروج من غرفتك .

ـ هل ابدو لك غريبا غامضا ؟

ـ نعم ! ماذا كنت تبحث في الصحف ؟

ـ في الصحف ؟

ـ توجد حوادث حريق كثيرة .

ـ كلا ! انا لا اهتم بحوادث الحريق !

نظر الى زاميوتوف نظرة غامضة وعادت الابتسامة الهازئة تقلص شفتيه ، ثم اضاف وهو يغمز له بعينه :

ـ كلا ! ليست الحرائق هي التي تهمني . لكن اعترف ايها الشاب الشجاع بانك تتمزق شوقا لمعرفة ما كنت اقرأ .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ أبدا ! لم افكر في هذا مطلقا . ولقد سألتـــك ذلك لمجرد السؤال . ثم هل يحق لي ان اطرح عليك مثل هذا السؤال ؟ هـــل لا زلت ذلك الـ ...

ـ اسمع انت رجل مثقف متعلم . هم ؟

ـ انني ادرس لنيل الشهادة الثانية في المعهد .

نطق زاميوتوف بهذا الجواب في شيء من البلاهة .

ـ آه الشهادة الثانية . وانفجر راسكولنيكوف ضاحكا ضحكة مجنونة وهتف معقبا :

ـ الشهادة الثانية ومع ذلك لا يخلو من الخواتم والابهة والشعر المعنى بـــه . يا لك من « شحرور » جميل !

ذهل زاميوتوف وشعر بشيء من المهانة فتراجع قليـــلا وقـــد سيطرت عليه دهشة بالغة وقال بصوت صارم :

ـ كم انت غريب ! اراهن على انك لا زلت تهذي !

ـ انا ؟ اهذي ؟ انت واهم ايها « الشحرور » الجميـــل .. اذا فأنا أبدو شاذا ، هذه هي الكلمة التي يجب أن تقولها .

ـ شـــاذا .

ـ الخلاصة انك تريد معرفة ما كنت ابحث عنه في هذا العدد الكبير من الصحف التي طلبتها . انك تعتقد الآن على الشك . أليس كذلك ؟

ـ حسنا ! لنقل ذلك .

وهذا ما يجعل اذنيك تنتصبان !

ـ ينتصب ؟ ماذا ؟ كيف ؟

ـ سأقول لك ذلك مستقبلا . اما الان يا عزيزي العزيز : اصرح او بالاحرى « اعترف » . كلا ليست هذه الكلمة الفنية ايضا لنقـــل

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

« افيد » وانت تسجل ! تلك العبارة الصحيحة وعلى هذا « افيـــد » انني قرأت او انني شعرت بفضول للقراءة بل انني كنت ابحث وانني وجدت ... وانني جئت خصيصا من اجل ذلك ... كنت ابحث عـن التفاصيل المتعلقة بمقتل العجوز ارملة الموظف !

واقترب بوجهه حتى كاد ان يلمس وجه زاميوتوف وهو لا يفتـأ ينظر اليه تلك النظرة المجنونة ، اما زاميوتوف فقد راح يحـدق في وجهه بدوره دون ان يتحرك او ان يبتعد بوجهه عنه وبدا كل ذلـك غريبا في نظره ودام الصمت بينهما دقيقة طويلة لم يفتآ خلالها يتبادلان النظر ، وفجأة هتف زاميوتوف وقد نفذ صبره وأعياه السكوت :

ـ حسنا وماذا يجديني ان تكون قرأت ؟ ماذا في ذلك ؟

فأردف راسكولنيكوف بصوته الهامس دون ان يتأثر بجـواب زاميـوتوف :

ـ ذلك لانني مهتم بهذه العجوز التي بسببها اغمي علي وانا في دائرة الشرطة عندما سمعتكم تتحدثون عنها . فهل فهمت الان ؟

ـ وماذا بعد ؟ ماذا تريد بكلمة « هل فهمت » ؟

كان صوت زاميوتوف قد بدأ يتسم بطـابع الغضـب . أمـا راسكولنيكوف فكان وجهه جامدا صارما وفجأة انفجر ضاحكـا ضحكة عصبية . وفي لمحة خاطفة تذكر بوضوح وجلاء الشعور الذي أحس به عندما كان واقفا وراء ذلك الباب والفأس في يـده والرتـاج يهتز والزائران يصيحان ويحاولان فتح الباب وهما يشتمان . تذكـر كيف احس برغبته في شتمهما واهانتهما بل وفي اخراج لسانه لهمـا استهزاء ، والرغبة التي استولت عليـه بالضحـك ... الضحك ... المقهقه الساخر . كانت ضحكته في تلك اللحظة صورة عن تلك التـي كان يرغب في اطلاقها لما كان وراء ذلك البـاب . ولـم يتمالـك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

زاميوتوف نفسه فهتف :

ـ اما ان تكون مجنونا واما ...

ثم توقف عن متابعة الجملة وقد خطرت له فكرة ملأت رأسه :

ـ واما ماذا ؟ واما ... هيا .. قل ..

فأجاب زاميوتوف غاضبا :

ـ لا شيء ان كل هذا سخيف . ثم صمتا كلاهما . وعاد راسكولنيكوف بعد تلك الضحكة المدوية ساهما مغموما وانحنى على المائدة جاعلا رأسه على يده وبدا كأنه نسي زاميوتوف فران الصمت فترة طويلة قطعه هذا قائلا :

ـ لم لا تشرب الشاي ؟ لقد برد .

ـ هم ؟ ماذا ؟ الشاي ؟ ليكن !

رفع راسكولنيكوف القدح الى شفتيه وتناول قطعة من الخبز وبعد ان القى على زاميوتوف نظرة بدا كأنه عاد الى الحقيقة واستعاد هدوءه فعاد الى وجهه ذلك التعبير الساخر ومضى يجرع الشاي .

قال زاميوتوف :

ـ ان الانحطاط الذي من هذا النوع اخذ يتزايد هذه الايام وقد قرأت مؤخرا في « غازيت وموسكو » ان كل عصابة المزورين قد القي عليها القبض في موسكو . لقد كان أفرادها من علية الناس وكانوا يزورون الاوراق النقدية .

ـ آه وقع ذلك منذ زمن قديم وقد قرأت الحادثة منذ اكثر من شهر في الصحف وفي رأيك اذا ان هؤلاء الناس هم لصوص محتالون أليس كذلك ؟

ـ كيف ؟ أليسوا اذا محتالين ؟

ـ هم ؟ بل انهم اطفال مبتدئون وليسوا محتالين . تصور ان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

خمسين شخصا يجتمعون لعمل من هذا النوع ! هل هذا منطقي ؟ ان ثلاثة اشخاص في قضية مثل هذه القضية لعدد كبير لان طبيعة العملية تقتضي ان يكون كل منهم واثقا واميناً على مستقبله من نفسه. فكيف اذا يأمن الا يسترسل في الثرثرة بفعل الشراب ؟ ان كلمة واحدة تكفي عندئذ لاشعال النار في البارود . انهم مبتدئون لانهم عهدوا الى اشخاص غير مأمونين بتصريف الاوراق المزورة النقدية المزورة فهل يعقل أن يكلف الانسان أول من يصادفه بمثل هذه المهمة ؟ هيا ! لنفرض ان هؤلاء المبتدئين قد نجحوا وان كل واحد منهم قد توصل الى تصريف مليون روبل ثم بعد ؟ هل سيستمر على ذلك مدى الحياة ؟ كلا ! ومع ذلك فان مستقبل كل واحد منهم مربوط بالاخرين . ان الانتحار افضل من هذه النتيجة ! والاغرب من ذلك ان هؤلاء المزورين لم يستطيعوا ابدال ورقة واحدة لان اول واحد منهم عندما استبدل الخمسة الاف روبل كان يرتعد خوفا . حتى انه عد الاربعة الاف الاولى فقط اما الالف الخامسة فقد تقبلها دون عد متلهفا على الانسحاب وساعيا فقط الى حشرها في جيوبه وبذلك أيقظ الشبهات والشكوك فأفتضحت القضية بسبب ذلك السخيف . فهل هذا مقبول ؟

فقال زاميتوف :

ـ اما ان تكون يداه قد ارتجفتا فهو لعمري صحيح وهو يشاهد كثيرا . هناك حالات يعجز المرء عن ضبط شعوره فيها .

ـ ماذا تفهم من ذلك ؟

ـ بل قل لي انت هل كنت تستطيع السيطرة على اعصابك ؟ لو انني كنت في هذا الموقف لما استطعت ذلك ! كيف يخاطر المرء مستهدفا لكل تلك النتائج من أجل مائة روبل وأن يتقدم بورقته المزورة الى المصرف . تصور الى المصرف ليستبدلها ! كلا ! لو كنت في ذلك الموقف

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لاضعت رشدي • وانت • اما كنت تشعر بمثل ذلك الشعور؟

شعر راسكولنيكوف من جديد برغبة عاتية تدفعه الى السخرية من محدثه واحس بقشعريرة باردة تكتسح ظهره • غير انه تمالك نفسه وقال :

ـ ما كنت لاتصرف على هذا النمط ! لو كنت في ذلك الموقف وكان علي ان ابدل ورقة مزورة لتصرفت على النحو التالي : كنت اعد الالف الاولى اكثر من مرة وانا اعاين العلامات المميزة فيها ثم كنت ابدأ بالإلف الثانية فأعدها بعناية واسحب من وسط الرزمة ورقة من ذات العشرة روبلات لاعاينها على نور الشمس لاتأكد من انها ليست مزورة. ولكنت أقول معتذرا عن سلوكي : « انني لا أثق بعد أن أضاعت احدى قريباتي خمسة وعشرين روبلا كانت عملة زائفة ولم تنته اليها » ولكنت لفقت قصة كاملة حول هذا الموضوع • وعندما ابلغ الالف الثالثة كنت اهتف : « انتظر لقد اخطأت في عد المائة السابعة من الرزمة واعتقد اني وقعت بمثل هذا الخطأ في الالف الثانية » وعندئذ كنت اترك الألف الثالثة لاعود الى الثانية فأعد المائة السابعة منها وكنت اسحب اول ورقة منها تقع في يدي فأعاينها ثم اعيدها اليه قائلا : « ارجو ان تبدل لي هذه ! حتى اجعل امين الصندوق يسبح في عرق غرير ويحار كيف يتخلص مني • وبالطبع كنت آخر الامر ساذهب بعد أن أفتح الباب واستدير اليه لاعتذر ، ثم انسحب ! » هكذا كنت اتصرف لو كنت في ذلك الوضع •

قال زاميوتوف وهو يضحك :

ـ ها ها ••• يا له من امر بغيض ! لكن ليست سوى اقوال • اما عند التنفيذ فثق انه كان حريا بك ان تصطدم بعثرة ! دعني اقول لك رأيي : « ان أي سفاح ، وليس أنت وأنا ، لا يمكن أن يضبط

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

اعصابه . خذ مثلاحادثة قريبة : لقد قتلت العجوز في حينا ويبدو ان القاتل وحش مخيف ارتكب جريمته في وضح النهار واستطاع الافلات بمعجزة مع ذلك فقد ارتعدت يداه حتى انه لم يحسن السرقة ولم يستطع الاستمرار حتى النهاية : ان الوقائع تدل عليه » .

بدا راسكولنيكوف مزعوجا بهذا القول وصاح وهو ينظر الى زاميوتوف نظرة خبيثة :

ـ تدل عليه : اذا حاولوا القبض عليه ان استطعتم . طاردوه .

ـ لا تخف سوف يقبض عليه .

ـ من ؟ أنتم ؟ انتم الذين ستلقون القبض عليه ؟ هم ! لكم ان تخدعوا انفسكم ان شئتم ! ان ما يهمكم هو ان تعرفوا ما اذا كان القاتل ينفق الان من المال الذي سرقه أم لا . وعندئذ تقولون لانفسكم « كان فلان من قبل بائسا فكيف ينفق الان عن سعة ؟ لا بد وأن يكون القاتل ! » وعلى ذلك فان اي طفل يستطيع ان يخدعكم اذا شاء .

فأجاب زاميوتوف :

ـ الواقع ان كل المجرمين يتصرفون على هذا الشكل . اما من حيث القتل فانهم ينجزونه بمهارة ثم يقعون في ايدينا عند دخولهم أي مشرب ولا شك ان الشرطة تقبض عليهم عندما يبعثرون المال الذي سرقوه ! لا يمكن ان يكونوا جميعا دهاة مثلك ! من الواضح انك لو كنت انت لما ذهبت الى حانة ابدا .

قطب راسكولنيكوف حاجبيه وحدق في وجه زاميوتوف ثم سأل بوجه متجهم :

ـ يبدو انك تتوق لمعرفة الاسلوب الذي كنت اتبعه في مثل هذه الحال .

فاجاب زاميوتوف بلهجة خطيرة وصوت ثابت حتى ليخيل للناظر اليه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ان وجهه اتسم كذلك بميسم الخطورة المتزايدة :

ـ انني اود ذلك حقا .

ـ وهل تعلق عليه اهمية كبرى ؟

ـ جـــدا .

ـ ودنا راسكولنيكوف بوجهه ثانية من وجه زاميوتوف وراح يحدق فيه ويتكلم بهمس جعل الاخر يشعر برعدة تسري في اوصاله . قـــال :

ـ « كنت استولي على المال والحلي ثم اخرج من المكـان ودون ان اضيع دقيقة واحدة او ان اضرب في الارض باحثا ، كنت اقصـد مكانا منعزلا كبستان يحيط به سور او اي شيء من هذا القبيل بعـد ان اكون متأكدا من وجود حجر ضخم يزن ثلاثين رطلا مثلا في زاوية ما او قرب الجدار في ذلك البستان او الباحة ، حجر يكون ملقى هناك منذ ان شيدت الدار او الجدران ، كنت أرفع ذلك الحجر الذي ينبغي ان تكون تحته حفرة صغيرة وأودع الحلي والمال في تلك الحفرة ثـم اطمرها واعيد الحجر الى مكانه بعد ان اسوي الارض دفعا لكل تغيير يحدث وانصرف ! وكنت سأنتظر عاما او عامين او ربما ثلاثة اعـوام ممتنعا عن الاقتراب من تلك الاشياء وبعدئذ تستطيـع ان تبحث لان العصفور يكون بذلك قد طار .

صاح زاميوتوف بصوت قريب من الهمس. وهو يبتعد فجأة عن راسكولنيكـوف :

ـ أنت مجنـون .

كانت عينا راسكولنيكوف تلتمعان ووجهه شاحبا مخيفا وشفته العليا ترقص بعنف وكان منحنيا انحناءة شديدة نحو زاميوتوف وهو يحرك شفتيه دون ان يصدر عنهما صوت ما . وهكذا انقضت نصف

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

دقيقة وهو يعقل ما يعمل لكنه لا يستطيع الكف عن ذلك العمل . كانت الكلمة الرهيبة ـ كما كان الرتاج ، رتاج ذلك الباب من قبل ـ على وشك الافلات من شفتيه ، كانت تحاول الخروج . لكنه استطاع اخيرا ان يحولها بالشكل التالي حين قال :

ـ هذا لو كنت انا الذي قتلت العجوز واليزابيت !

أما زاميوتوف فكان ينظر اليه نظرة مروعة وقد شحب وجهه حتى حاكى لون غطاء المائدة بينما كان شبح ابتسامة يلوح على شفتيه . قال بصوت لا يكاد يسمع :

ـ لكن هل هذا ممكن ؟

فألقى عليه راسكولنيكوف نظرة شيطانية وقال بصوت بارد حازم بعد ان استعاد نشاطه الذهني :

ـ اعترف ، اعترف بانك ظننت انني القاتل . نعم . أليس كذلك؟

فبادر زاميوتوف الى القول :

ـ ابدا . بل انني الان ابعد الناس عن الظن او الشك .

ـ ها قد ضبطتك الان ! لقد اقتنص « الشحرور » ! انك اذا ظننت ذلك من قبل طالما انك تقول : « انك الان ابعد الناس عن الشك »

فصاح زاميوتوف وقد بدا عليه الانزعاج لهذه الهفوة :

ـ اطلاقا ... ابدا ... انك انت الذي روعتني حتى جعلتني اتلفظ بهذه الكلمات .

ـ اذا انك لم تكن تشك في امري ! لكن عن اي شيء اذا كنت تتحدث لما غادرت ـ أنا ـ دائرة البوليس ؟ ولم راح « الملازم البارود » يستجوبني بعد ان استفقت من اغمائي ؟

نهض واقفا وصاح بالنذل قائلا :

ـ ما هو حسابك ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ثلاثون كوبيكا بمجموعه ...

ـ حسنا اليك عشرين كوبيكا مكافأة . ثم التفت الى زاميوتوف وقال وهو يمد له يدا مرتجفة ملأى بالاوراق المالية :

ـ أترى كم عندي من النقود ؟ ان بينها اوراقا حمراء وزرقاء حمراء وزرقاء مجموعها خمسة وعشرون روبلا . فمن اين اتتني ؟ ثم . ثوبي الجديد ؟ من اين جاء ؟ انت تعرف مع ذلك انني لا املك دانقا ! انني أراهن على انك قد استنطقت صاحبة الدار التي اسكنها . هيا ! هذا يكفي . لقد تحدثنا كثيرا فالى اللقاء وبسرور .

خرج يهزه شعور غريب ، لون من « الهيستريا » الممزوجة باللذة العميقة كان وجهه مربدا شديد الهزال متشنجا كأنه أصيب بنوبة حادة وازداد اعياؤه شدة فقد شعر عقب هذه الصدمة الاولى ان قواه التي عادت اليه مثارة جدا قد وهنت فجأة بانتهاء الصدمة واصبحت اشد ما تكون خورا .. ولما اصبح زاميوتوف وحده لبث جالسا في مكانه فترة غارقا في التفكير . ذلك ان راسكولنيكوف ـ دون ان يعي ـ قلب له نظرياته رأسا على عقب وجعله يتخذ قرارا نهائيا ويقول متمتما: « ان ايليا بيترفيتش وحش سمج » .

ما كاد راسكولنيكوف يفتح الباب المؤدي الى الشارع حتى التقى برازوميخين داخلا . فتوقف كل منهما على بعد خطوة من الاخر واخذا يتبادلان النظر . بدا على رازوميخين الذهول وأعقبه غضب عنيف اشتعل في وجهه والتمعت عيناه ببريق متوعد وصاح ملء فيه :

ـ انت هنا اذا ! ويحك لقد فررت من السرير ! ايها الخبيث . لقد جعلتني ابحث عنك تحت السرير وفي غرفة الغلال حتى انني كدت ان اضرب ناستاسيا لاهمالها . ثم اين اجدك ! روديا ما معنى هذا ؟ قل لي الحقيقة ! اعترف . هل تسمح ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

اجاب راسكولنيكوف بهدوء :

ـ ما معنى ذلك انكم تزعجوني ازعاجا مميتا واريد ان اكون وحيـــدا ...

ـ وحيدا ! وانت الذي لا تستطيع السير ؟ ووجهك اشد شحوبا من قطعة القماش ؟ وصدرك يستطيع التنفس ؟ ايها الغبي ! ماذا فعلت في « قصر البلور » ؟ اعترف فورا .

غير ان راسكولنيكوف حاول الابتعاد وهو يقول :

ـ دعني امر ...

جن جنون رازوميخين واطبق على كتف راسكولنيكوف بعنف وصـــاح :

ـ ادعك ؟ ادعك ؟ انت تجرأ على قول « دعني امر » بعد ما فعلتـــه حتى الان ؟ اتعرف ماذا سأفعل بك فورا ؟ سوف اضعك تحت ابطي واربطك كحزمة محترمة ثم احملك الى مسكنك وسأغلق عليك البـاب بالمفتاح .

قال راسكولنيكوف بهدوء وبصوت ساكن :

ـ اسمع يا رازوميخين . الا ترى انني عازف عن خدماتك ؟ اي شي اشد صعوبة على المرء من صنع المعروف مع من لا يبالي بـــه مطلقا ! مع من يزعجه ان يعمل من اجله ذلك المعروف ، هيا لماذا جئت تعنى بي منذ بدء مرضي ؟ ما يدريك انه كان يسعدني أن أموت ! ألم افهمك ، فيه الكفاية اليوم ؟ انك تؤلمني وتزعجني وتعذبني ؟ ثق بان ذلك يؤخر شفائي . لانه يجعلني في حال دائم من الثورة والغضب . فدعني اذا بربك . باي حق تستوقفني عنوة ؟ الا ترى انني محتفظ بكل قواي الفكرية وانا اتحدث معك ؟ كيف استطيع ان احصل منك على وعد بانك لن تفرض وجودك علي وانك ستكف عن العناية بي ؟ أنا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عاق . ليكن ! أنا مخلوق خشن ، سمج ، فظ ، ولكن بربكم ، بربكم دعوني هادئا ، دعوني ، دعوني .

كان يتكلم بصوت هادىء وهو يخمن سلفا نوع السم الذي كان ينشره بأقواله ولم ينته من حديثه الا وقد بلغ به الحال مبلغا من الضعف كاد ان يكتم انفاسه تماما كما وقع له من قبل مع لوجين . اما رازوميخين فقد فكر لحظة ثم افلت ذراع راسكولنيكوف وهو يقول بصوت حالم :

ـ حسنا . اذهب الى الشيطان .

وفجأة انتابه غضب عنيف فصاح :

ـ انتظر ، اسمع : اصرح لك : بانكم جميعا ـ انت ومن هم على مذهبك ـ ثرثارون مساكين ادعياء حقيرون حتى انكم اذا اصبتم بألم تصرفتم تصرف الدجاجة التي وضعت بيضة للتو ! انكم تسرقون الكتاب الاجانب حتى في هذه الامور لانكم لا تملكون في انفسكم شيئا من الحياة الخاصة المستقلة . ان لحمكم ابيض كلحم الحوت وما يجري في عروقكم ان هو الا حليب وليس بدم ! انا لا اصدق احدا منكم لان همكم الاول في كل المناسبات هو تحاشي الظهور بمظهر الرجال ! اسمع قبل ان تحاول اسعافي ما اقول حتى النهاية . انت تعرف ان لدي الليلة اصدقاء يجتمعون في غرفة سمر اقيمها بمناسبة انتقالي للمنزل الجديد ولعلهم وصلوا الان الى داري وقد تركت عمي هناك ليستقبلهم . فاذا كنت لست سخيفا عريقا في السخف ، او ترجمة للغة اجنبية ما ، فان من الافضل لك ان تقضي امسيتك عندي بدلا من ان تتشرد هكذا في الشوارع . اسمع يا روديا ! أنا أعرف انك ذكي وذكاؤك لا يمنع ان تكون لطيفا وعليه اذا لم تكن سخيفا فخير ما تعمله ان تأتي الى مسكني الليلة ولسوف اجد لك مقعدا مريحا جدا بتل

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وسأضعك في سرير فاخر اذا اقتضى الامر وسيكون هناك عدد من الاصدقاء على ذلك يرفه عنك ! وسيحضر زوسيموف كذلك. فهل تحضر ؟

ـ كلا .

فصاح رازوميخين وقد نفذ صبره :

ـ انك مخطىء بذلك ! وما يدريك ؟ لا يمكن للمرء ان يعرف ما سيكون ؟ لقد وقع لي شخصيا أن كنت أبصق في وجه بعضهم ثم أسارع للاتصال بمن بصقت في وجهه . انك تصاب بالخجل ولكنك بذلك تعود الى حظيرة بني الانسان . لذلك لا تنسى يا روديا عنواني: دار بوتشينكوف ، الطبقة الثالثة .

ـ يخيل الي يا سيد رازوميخين انك على استعداد لتحمل كل اهانة في سبيل خدمة شخص ومساعدته .

ـ انا ؟ مجنون ! لا تنسى منزل بوتشينكوف رقم (٤٧) دار الموظف بابو خكين .

ـ لن احضر يا رازوميخين .

ـ بل اراهن على انك ستحضر . والا فانك تتنكر لنفسك .

وبينما كان راسكولنيكوف يهم بمغادرة المكان دون ان يجيب وقعت عينا رازوميخين على زاميوتوف فهتف :

ـ هيه ! ان زاميوتوف هنا .

ـ نعم .

ـ هل رآك ؟

ـ لقد رآني .

ـ وتحدث معك ؟

ـ وتحدث معي .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ عن اي شيء ؟ هيا لتذهب الى الشيطان • لا تقل اذا كـــان لا يرضيك ••• تذكر منزل بوتشينكوف رقم(٤٧) مسكن بابوخكين•

خرج راسكولنيكوف الى الشارع فبلـغ شارع « البساتيـن » ودار حوله • وكان رازوميخين يتابعه بنظرات قلقة • ثم لوح بيديـــه دلالة على عدم الاكتراث ودخل المشرب • غير انه توقف على السلـم مفكرا وغمغم :

ـ « ليحملني الشيطان » ! انه كان يتكلم دون وعي • لكنه كان يبدو مالكا قواه • كم انا سخيف • الا يتكلم المجانين بلهجة مماثلة للهجـة العقلاء ؟ ان زوسيموف نفسه يشك في ذلك على ما يبدو •

ثم ضرب جبهته بيده وقال :

ـ ولكن ••• كيف ادعه وحيدا في هذه اللحظة ؟ لا يبعـد ان يلقي بنفسه الى النهر ليغرق ! لا شك انني ارتكب خطيئة حين تركته يذهب • وعاد ادراجه يلحق براسكولنيكوف • لكن هذا كان قـــد اختفى • فلما اعياه البحث عاد الى « قصر البلور » ليستفسر مـــن زاميوتوف عما وقع له معه •

اتجه راسكولنيكوف نحو جسر «ايكس» ••• ووقف في منتصفه مستندا الى الحاجز وراح ينظر الى الافق البعيد • شعر بعد مبارحته لرازوميخين انه شديد الضعف وانه استنفذ كل قواه حتى استطـاع بلوغ هذا المكان • حس بحاجته الى الراحة • الى النوم في الشارع وأخذ يرمق متأملا دون وعي اشعاع الشمس الاحمر الاخير الذي يلتمع عـلى صفحة المـاء والبيوت الغارقة في العتمة الداهمة • وهناك على الشاطيء الايسر كان اشعاع الشمس الغاربة ينعكس على زجاج نـافذة اعلى منزل فيجعلها تبدو ملتهبة وكأنها قطعة من الجحيم • وكانت المياه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

في القنال تبدأ قاتمة اللون فبدا على وجهه اهتمام خاص بالماء واخيرا شعر بحلقات حمراء تدور امام عينيه وخيل اليه ان المنازل والمارة والرصيف وكل من عليه ومن حوله بدأوا يدورون وكأنهم يرقصون ثم انتفض فجأة وكأنه تخلص بصعوبة ومجهود من الاغماء الذي كاد ان يدهمه وشعر بشخص يقترب منه ويقف الى يمينه . كانت سيدة طويلة القامة تحجب رأسها بشال ولها وجه اصفر هزيل تلتمع في محجريها العميقتين عينان حمراوان . كانت تحدق فيه دون ان تراه لانها كانت في حالة لا تسمح لها بتمييز الاشخاص . اقتربت تلك الامرأة من الحاجز فجأة ووضعت مرفقها عليه ثم طوحت بساقها اليمنى اولا واعقبتها باليسرى والقت بنفسها الى الماء فانبعث من الماء الكدر صدى ارتطام جسدها فيه وسرعان ما ابتلعت المياه الفريسة لتلفظها بعد قليل وتجتذبها مع التيار ورأسها وساقاها مغموران وبدا ثوبها منتفخا وكأنه فراش صغير. انبعثت في تلك اللحظة عشرات الاصوات صائحة:

« امرأة تختنق ، امرأة تختنق » وتهافت الناس فحشر راسكولنيكوف نفسه بينهم وسمع احدهم يقول :

ـ رباه انها آفروسينيوشكا !

وصاح بعضهم :

ـ الينا بزورق ... بزورق ...

وفي تلك اللحظة كان أحد الرقباء هبط السلم المؤدي الى شاطىء القنال ونزع معطفه وحذاءه ثم ارتمى في الماء ولحق بالامرأة الغارقة فأمسك على ثوبها بيده اليمنى بينما تعلق باليسرى بالحبل الذي القاه اليه زميل له . وهكذا اخرجت اليائسة المنتحرة من القناة والقيت على ارض الرصيف لتجرى لها الاسعافات . ولم يمض قليل حتى استعادت رشدها ففتحت عينيها وتناهضت ثم جلست واخذت تزيل

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عن ثيابها ما علق بها من الطمي بحركة لا ارادية دون أن تنبس بكلمة وتهافت الناس حولها وهتفت امرأة تقول :

ـ لقد ركبها الف شيطان ! نعم الف شيطان .

وراحت المتحدثة تفسر ما حدث بقولها :

ـ لقد حاولت في المرة الاولى شنق نفسها لولا ان انقذت في آخر لحظة . انها جارتنا ونحن نقطن في المنزل الثاني قريبا من هنا على هذه الناصية . وقد خرجت لشراء بعض الحاجيات من البقالية وطلبت من الخادم مراقبتها . ومع ذلك فقد وقع المحذور .

لم يلبث المجتمعون ان انصرفوا وبقي « الرقيبان » يعنيان بالبائسة وكان بعضهم قد الح الى وجوب سوقها الى ادارة الشرطة .

راح راسكولنيكوف ينظر الى هذا الصخب باحساس غريب من اللامبالاة والجود . وشعر بالغثيان وتمتم يحدث نفسه قائلا :

ـ كلا ؟ انه بغيض ! الماء ؟ انه لا يستحق العناية . خصوصا وانه لن يحدث شيء فلم الانتظار ؟ ولكن على فكرة ، لماذا بارح زاميوتوف عمله في دائرة الشرطة رغم ان الدوام يستمر حتى الساعة التاسعة ؟

أدار ظهره الى الحاجز بعد أن كانت فكرة الانتحار تراوده وألقى نظرة حوله ثم خاطب نفسه وكأنه اتخذ قرارا حاسما :

ـ هيا بنا ! لم لا ؟

ثم غادر الجسر واتجه نحو دائرة الشرطة بقلب جامد لا احساس فيه . كان يمقت التفكير في تلك اللحظة حتى لينال ان قلقه قد غادره وان تلك الانتفاضة التي خلقت فيه بعض النشاط فأخرجته من حجرته « لينهي كل شيء » قد حل محلها فتور ووهن كاملان . استمر يحدث نفسه بقوله :

ـ حسنا . ان ذلك ايضا يعتبر مخرجا . ثم انني ازيد الانتهاء

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لذلك فسأنتهي أليس ذلك بالمخرج المناسب ؟ ماذا يهم ! سيكـون لي ذلك ، لأنسى كل هذا . انني احيانا اترك الحماقات تعصف في رأسي.

كان عليه كي يصل الى دائرة البوليس ان يسير بخط مستقيم ثم ينعطف الى اليسار عند بلوغه الشارع الثاني . لكنه قبل ان يصـل الى المنعطف الأول توقف برهة وراح يفكر ثم مـا لبث ان سار في زقاق وانعطف بعد ان قطع شارعين ثم توقف دون ان يشعر بما يعمل ولعله اراد بتوقفه استجماع آرائه واكتساب الوقت ! كان يمشي مطرقا ببصره الى الارض . وفجأة شعر كأنما يهمس بعضهم في اذنه . ولما رفـع رأسه وجد انه قد بلغ باب ذلك « البناء » ووقف تماما امام البـاب ! كان يتحاشى منذ تلك « الليلة العتيدة » المرور بذلك المكـان غير ان رغبة لا تقاوم يصعب تفسيرها استبدت به فدخل البناء بعد ان اجتاز المدخل ثم انحرف الى السلم الاول الى اليمين وراح يصعد الدرجات المعروفة والتي تقود الى الطبقة الرابعة . كان الظلام حالكا والسلـم ضيقا يصعب سلوكه فكان راسكولنيكوف يتوقف على كل « بسطة » وينظر حوله بفضول . شاهد على « بسطة » الطبقة الاولى عارضـة جديدة لم تكن موجودة من قبل بينما كان مسكن الطبقة الثانية مجددا تماما وقد طلي بابه الموصد بالدهان فاستنتج انه قد اجر واشغـل وان نيكولا وديمري قد فرغا من العمل فيه . ولما بلغ الطبقة الرابعة حدث نفسه قائلا : « هنا » !

شعر يتردد ولون من الخوف : كان باب المسكن مفتوحـا على مصراعيه وكانت أصوات تنبعث مـن الـداخل فتـأكد مـن وجـود

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

اشخاص فيه ، الامر الذي لم يكن يتوقعه : لم يتردد طويلا بل دخل المسكن بقدم ثابتة .

كان بعض العمال يرممونه ويجددون ما تلف منه فأذهله ذلك لانه ـ على ما يبدو ـ كان يتوقع ان يراه على حاله الذي تركه عليه آخر مرة بل لعله كان ينتظر أن تكون الجثتان مسجاتين في مكانهما المعهود فاذا به تطالعه الان غرفة ذات جدران عارية خالية من الاثاث فبدا له المشهد غريبا . تقدم نحو النافذة فجلس على حافتها .

كان في المسكن عاملان يشتغلان . احدهما اكبر سنا من الاخر وكلاهما لم يتجاوز طور الشباب . كانا يلصقان على الجدران اوراقا بيضاء مزينة بازهار البنفسج وهما ينزعان الاوراق الصفراء القذرة الممزقة التي كانت تكسوها من قبل . شعر راسكولنيكوف بغضب عنيف يستولي عليه وراح ينظر الى تلك الاوراق الجديدة نظرة عدائية وكأنه يأسف لكل تلك التغييرات المحدثة .

وكان العاملان على وشك الانتهاء من عملهما فكانا يرتبان معداتهما ويتأهبان لمغادرة البناء . لذلك لم يزعجهما دخول راسكولنيكوف بل استمرا يتحدثان . كان احدهما يقول :

ـ جاءت تزورني صباح ذات يوم تتصنع عطف الكبير على الصغير وكان الوقت مبكرا جدا وهي في ابهى زينتها فسألتها : ماذا بك؟ لم تظهرين هكذا ؟ فأجابت :

ـ يا « تيت فاسيليتش » اريد ان اكون اعتبارا من اليوم لك وحدك ! .. ولكي اصفها لك اكتفي بالقول : انها تشبه « جورنال » الموضة تماما ! فأجابه الاخر :

ـ « جورنالات الموضة » ! انها كما تعلم عبارة عن صور ملونة تصل كل يوم سبت بالبريد من الخارج. انها تصلح لتعليم النساء كيفية

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ارتداء الملابس وصنعها وكذلك الرجال • انها رسوم فالرجال يصورون فيها وعليهم أجمل الثياب أما فيما يتعلق « بجناح » النساء فحدث! انهم يصورونها بشكل جذاب جميل اولئك الماكرون حتى انك لو اردت التضحية بكل ما تملك لما امكنك دفع اثمان ما هو مصور فيها •

فصاح الفتى الاصغر سنا وقد اعجبه الحديث :

ـ ما هو الشيء الذي لا تراه في ذلك « الشيء » أنه حاوٍ على كل شيء •

ـ نعم وحتى الاشياء « الاخرى » ، لا تخلو منها •

نهض راسكولنيكوف ومضى الى غرفة النوم التي كانت تضم صندوق العجوز والخزانة • فبدت له الغرفة صغيرة الحجم وهي فارغة ولم يكن العاملان قد نزعا بعد ما كان على جدرانها من اوراق وكانت هناك اثار في احد اركانها تخلفت عن دولاب « الايقونات » • نظر حوله وعاد الى النافذة • فحدجه اكبر العاملين سنا بنظرة وسأله :

ـ ماذا تبحث هنا ؟

لم يجب راسكولنيكوف بل نهض واقفا ومضى الى المدخل حيث حبل الجرس فأطبق بيده عليه وجذبه فدوى صوت الجرس ••• الصوت « اياه » الذي سمعه ، صوت « التنك » • كرر القرع ثانية وثالثة ، وعادت الى مخيلته • صورة تلك اللحظة الرهيبة التي قضاها في هذا المكان فكان يرتعد كلما دوى صوت الجرس ويشعر بلون من السرور !

ـ لكن ماذا تريد ؟ من انت ؟

عاد راسكولنيكوف الى الغرفة الداخلية وهو يقول :

ـ انا ابحث عن مسكن اقطنه وقد جئت اعاين هذا !

ـ لا يزور الناس المساكن الخالية ليلا ! ثم انه كان عليك ان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تصحب معك البـــواب !

سأل راسكولنيكوف وهو يتجاهل ملاحظة العامل :

ـ لقد نظفوا الارض كما يبدو . هل سيدهنونها ؟ الا توجـــد آثار دمـــاء ؟

ـ ايـــة دماء ؟

ـ لكن العجوز واختها قتلتا وكانت هنا بحيرة من الدم !

بان الانزعاج على وجه العامل وهتف :

ـ اي نوع من الناس انت ؟

ـ انـــا ؟

ـ نعـــــم !

ـ أتريد ان تعرف اي نوع من الرجال انا ؟ لنذهب الى دائـــرة الشرطة وسأعلمك هنـــاك !

نظر العاملان الى بعضهما بخوف فقال الاكبر سنا :

ـ هيا ... لقد ازف وقت رحيلنا بل اننا قد تأخرنـــا . هيـــا يا « آليوشا » لنذهب وينبغي ان نغلق الباب .

فقال راسكولنيكوف بلا مبالاة :

ـ حسنا لنذهب .

وخرج اولا وراح يهبط السلم ببطء فلما بلغ الباب الخـــارجي هتف مناديا البواب !

ـ هه ! « دفورفيك » !

كان عدد من الاشخاص بينهم البوابان واحدى الفلاحات واحـــد الصناع بثوب منزلي ، واقفين أمام البـــاب يتأمـــلون المـــارة . قصد راسكولنيكوف اليهم فسأله احد البوابين :

ـ ماذا تريـــد ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ هل كنت في دائرة البوليس ؟
ـ لقد جئت للتو من هناك . ماذا تريد ؟
ـ هل هم هناك حتى الان ؟
ـ نعم انهم هنـاك .
ـ وهل مساعد رئيس البوليس هناك ايضا !
ـ لقد كان هناك منذ لحظات . ماذا تريد ؟

لم يجب راسكولنيكوف بل لبث واقفا بين الجماعة ساهم الفكر بينما قال اكبر العاملين سنا :

ـ لقد جاء يتفقد المسكن الذي نشتغل فيه !
ـ اي مسكن ؟

ـ ذلك الذي نشتغل فيه وكان يسأل : لم غسلوا الدم ؟ لقـد وقعت جريمة قتل هنا وقد جئت استأجر هذا المسكن ! ثـم راح يقرع الجرس حتى كاد ان يقطع حبل الجرس . ثم طلب الينا ان نذهب معه الى دائرة البوليس ليتحدث بكل شيء !

شعر البواب بشيء من القلق وراح يصعد راسكولنيكوف ببصره وقد قطب حاجبيه ثم قال وقد اكتسب صوته طابع التهديد :

ـ مـن انت ؟

ـ أنا روديون رومانيتش راسكولنيكوف ، طالب سابـق وأقطن في دار « سشيل » بالقرب من هنا في الزقاق المجاور رقم ١٤ . اسألوا البواب انه يعرفني !

نطق راسكولنيكوف بتلك الاقوال وهو شارد الذهن ينظر الى الشارع الذي بدأت الظلمة تكتسحه نظرات ساهمة بلهاء .

ـ وماذا جئت تعمل في هذا المسكن ؟
ـ اردت ان اراه !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ وماذا فيه حتى تهتم برؤيته ؟

وهنا تدخل الصانع ذي الثوب المنزلي وقال :

ـ ماذا لو استقناه الى مركز البوليس ؟

نظر اليه راسكولنيكوف نظرة متعالية وتأمله برهة باهتمام ثم قال بهدوء :

ـ هيا بنا !

بينما عاد الرجل يقول مؤكدا :

ـ ينبغي ان نذهب به الى هناك طالما انه جاء « لهذا السبب » ينبغي ان تكون في رأسه فكرة ما !

بينما غمغم العامل :

ـ الله يعلم اذا كان ثملا ام لا ؟

وعاد البواب يسأل وقد علا وجهه الغضب :

ـ ماذا تريد على الضبط ؟ لماذا جئت تزعجنا ؟

فاجاب راسكولنيكوف بسخرية :

ـ انك ترتعد خوفا من الذهاب الى دائرة البوليس !

ـ ولم ارتعد من الخوف ؟ لم جئت تزعجنا ؟

وصاحت القروية :

ـ انه نشال حقير !

بينما قال البواب الاخر وكان رجلا ضخم الجثة يحمل في يده حلقة مفاتيح كبيرة :

ـ انه متسكع حتما فلم تتناقش معه ؟ هيا غادرنا ... « انقلع » !

وامسك بكتف راسكولنيكوف ثم دفعه الى الشارع فكاد ان يسقط على الارض لكنه تحامل على نفسه ونظر بامعان الى اولئك الذين كانوا مجتمعين وابتعد !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قال العامل بدهشة :

ـ انه مخلوق غريب !

فاجابت القروية :

ـ صحيح ! لقد اصبح « العالم » في هذه الايام شديد الغرابة.

وقال الصانع :

ـ كان يجب سوقه الى « القسم » .

فأجاب البواب الضخم :

ـ وما فائدة ذلك ؟ انه متسكع نشال كما بدا لنا فلو اخذناه لسقط في الفخ ولما استطاع الخروج ...

راح راسكولنيكوف يناجي نفسه قائلا : « أأذهب أم لا أذهب ؟ » وكان واقفا على الرصيف عند المنعطف ينظر حوله وكأنه ينتظر الجواب من احد . غير ان الجواب ظل معلقا ! كان كل شيء ميتا لا يحس ولا يشعر بآلامه وعذابه ! كان كل شيء ميتا بالنسبة اليه فقط ! وفجأة لمح على بعد مائتي خطوة من مكانه ، جمهرة من الناس ، يزداد عددها في ذلك الظلام الواقد وسمع صرخات وصيحات واصوات متنافرة ومن وسط الجمهرة وقفت عربة يشع منها ضوء باهت . أثار المنظر راسكولنيكوف فانعطف يمينا وراح يحث خطاه متجها نحو المتجمهرين .

كان يبدو عليه أنه يريد الاتصال بأي كان لأنه كان اتخذ قراره النهائي : لسوف يذهب الى مركز البوليس بعد لحظات فلم لا يملأ عينيه من المشاهد « المبهجة » حتى ذلك الحين !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٧

كانت عربة انيقة واقفة وسط الشارع وقد شد اليها حصانان اشعلان حرونان ... وكانت العربة خالية والسائق واقفا بجانبها وقد تخلى عن مكانه ... وكان بعضهم ممسكا بمقاود الحصانين بينما تجمع نفر من الناس حولها فراحت شرذمة من رجال البوليس تمنعهم من الاقتراب !... وكان أحد رجال الشرطة ممسكا بمصباح في يده يلقي ضوءه على شيء ملقى على الرصيف قرب العجلات ، وبدا السائق مرتبكا قلقا اذ كان يهتف بين حين واخر :

ـ يا للتعاسة ! رباه يا للتعاسة !

شق راسكولنيكوف طريقا لنفسه وسط الازدحام حتى استطاع ان يبلغ مكانا استطاع فيه معرفة سبب هذا الحشد الصاخب المضطرب، كان على الارض ، رجل ملقى على الرصيف فاقد الصواب والدم يغمر كل جسمه وقد سحقته العجلات منذ حين . كانت ثيابه بالية قديمة ولكنها تدل رغم ذلك على ان صاحبها « سيد » او انه كان « سيد » وليس صعلوكا وكان الدم يتفجر من جمجمته ووجهه المهشمين حتى اختلطت معالمهما . كان الحادث مؤلما وكان مقدرا لضحيته الموت !

عاد السائق يصيح ذاهلا :

ـ رباه ! كيف يمكنني معرفة ماذا سيحدث ؟ فلو ان خيولي كانت تسير هدبا او انني لم احذره صائحا بكل قواي لكان الامر ممكنا . لكني كنت اسير ببطء وتمهل وبسرعة عادية تماما وقد شهد الناس كلهم ذلك هل أصدق ويكذب الآخرون ؟ لكن الرجل الثمل يرى « الدنيا » مشوشة في وضح النهار ! لقد رأيته يجتاز الشارع مترنما حتى انه كاد ان يستلقي في منتصف الطريق ، فهتفت به محذرا ثلاث

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مرات وخففت سرعة الجياد لكنه جاء يصطدم بهم بخط مستقيم ! انني اعتقد انه تعمد ذلك ، والجوادان فتيان نشيطان فكانت صيحاتي المحذرة تزيد في هياجهما وهكذا وقع الحادث المؤلم .

صاح شاهد عيان بين المتجمهرين يقول :

ـ انه يقول الحق !

ـ لعمري ان ما قاله هو الصدق ! لقد صرخ ينبهه ثلاث مرات متتاليـمـة !

ـ ثلاث مرات ، ثلاث مرات ، كلنا سمعنا ذلك !

وكان يبدو على السائق انه غير وجل لما حدث فقد كانت اعصابه هادئة باستثناء تلك العبارات التي لاتخلو من قلق والتي كان يرددها بين الحين والاخر مشفقا على مصير الضحية ، وقد بدا ان العربة تخص بعض الاغنياء وان صاحبها ينتظر قدومها في مكـان معين وكان رجال الشرطة مدركين تلك الحقيقة وقد أعاروها كل اهتمامهم . فلم يبقَ عليهم الا نقل المدهوس الى مركز البوليس ثم الى المـستشفى دون أن يعرف اسمه . وكان راسكولنيكوف قد تسلل خلال ذلك الوقـت حتى بات في عداد اقرب الناس الى الضحية وفجأة اضاء مصباح الشرطي وجـه التعس فعرفه وهتف وهو يزيح النـاس عـن طريقه ليصل الـى الصف الاول :

ـ أنا أعرفه ... أنا أعرفه ! انه موظف متقـاعد ، المستشـار مارميلادوف وهو يقطن بالقرب من هنا في دار كوزل ! علي بطبيب وانا ادفع الاتعـاب !

واخرج نقوده من جيبه وعرضها على انظار رجل البوليس وهـو في اعلى درجات الانفعال والاضطراب .

وسر رجال الشرطة لمعرفـة اسم الضحية أما راسكولنيكوف فقد

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

اعلن عن اسمه وعنوانه مجهدًا نفسه كما لو كان الرجل اخاه الاكبر ساعيا الى نقله بسرعة الى داره وهو فاقد الوعي . وكان يهتف :

ـ انه يقطن هناك على بعد ثلاثة منازل من هنا وصاحب منزله الماني غني : « كوزل » . لقد كان ثملا حتما وكان قاصدا مسكنه . انا اعرفه ... انه مدمن وله عائلة كبيرة العدد : زوجة واولاد بين بنين وبنات . كم يلزم من الوقت لنقله الى المستشفى ؟ سأدفع للطبيب سأدفع ! يجب أن يلقى العناية الكافية والا فأنه سيموت قبل ان يبلغ المستشفى .

انتهز فرصة مواتية فدس في يد احد رجال الشرطة قطعة من النقود ولما كانت تلك الاجراءات قانونية وليس فيها ما يستوجب اللوم فقد ووفق على نقل الجريح الى منزله . وهكذا سمح لبعض المتحمسين ان يساهموا في حمله وكان بناء « كوزل » على بعد ثلاثين خطوة من مكان الحادث فراحت الجماعة تشق طريقها اليه يتبعها راسكولنيكوف وهو رافع رأس الجريح بعناية دون ان يغفل عن القيام بدور الدليل .

ـ من هنا ... اصعدوا هذا السلم ... ينبغي ان يبقى رأسه مرفوعا ... هكذا حسنا سأدفع وسأشكركم لجميلكم !

كانت زوجة « مارميلادوف » على جري عادتها كلما اتيحت لها فترة راحة تذرع غرفتها جيئة وذهابا من النافذة الى المدفأة ومن المدفأة الى النافذة وذراعاها معقودتان على صدرها وهي تحدث نفسها كلما سنحت لها الفرصة وتخلصت من نوبات السعال . وكانت منذ حين قد اصبحت تبحث مع ابنتها البكر بوليا احاديث تزداد عمقا مع الزمن . وعلى الرغم من سن الفتاة المبكرة وعدم فهمها عديدا من الاشياء فانها بدأت تفهم تماما ما تريده أمها منها . لذلك فقد كانت تصغي الى أحاديثها بعناية فائقة ، وتتابعها بعينيها الكبيرتين اللتين تشعان ذكاءا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ساعية الى فهم كل كلمة تتلفظ بها امها مدركة كل تلميح اذا خانها التصريح !

وفي تلك الاثناء . كانت بوليا تخلع ثياب اخيها قبل ان تودعه سريره فقد كان ذلك الصغير مريضا طيلة ذلك النهار . وكان في تلك اللحظة جالسا بهدوء على مقعد منتصب الجدع منتظرا ان يخلع عنه قميصه الذي سيغسل أثناء الليل . وكانت قدماه متجهتين نحو الباب وعلى جانبه جورباه احداهما الى يمينه والثانية الى يساره . كان يصغي الى حديث امه متسع العينين منتفخ الخدين ككل الاطفال الصغار الذين تنزع عنهم امهاتهم ثيابهم قبل النوم ، اما الفتاة الاخرى فكانت ترتدي أسمالا ممزقة تماما وكانت تقف قرب الستارة منتظرة دورها . كان الباب المؤدي الى السلم مفتوحا لان ذلك كان الوسيلة الوحيدة للتخلص من دخان اللفائف الذي ينبعث من الغرف الاخرى ويسبب لكاترين سعالا قويا طويلا يتداعى له صدرها المريض . وكانت كاترين ايفانوفنا قد اصبحت منذ اسبوع اكثر نحولا من السابق وازدادت البقع الحمراء ظهورا على خديها .

كانت تقول لابنتها بوليا وهي تروح وتجيء في الغرفة :

ـ لن تصدقي بل ولن تستطيعي التصور كم كانت حياتنا سعيدة ومرموقة لما كنا لدى « بابا » أما هذا المدمن فقد سبب لنا تعاسة لحقت بكم اكثر من سواكم لقد كان « بابا » يحمل لقبا يعادل رتبة «كولونيل» لقبا يشبه حاكم مقاطعة فلم يكن باقيا عليه الا ان يخطو خطوة اخرى حتى يصبح حاكما حقيقيا حتى ان الناس كانوا يهرعون الى دارنا ويقولون ! « اننا نعتبرك يا ايفان ميخائيليتش حاكما لنا ! » وعندما كنت ... (وهنا انتابتها موجة سعال حادة فراحت تعاني منها حتى مرت بسلام وقالت متبرمة : ان هذه لعنة ايامي ! ») ... عندما كنت

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

في آخر حفلة راقصة اقيمت لدى ماريشال الاشراف لمحتني الاميرة « بيزيسيلي » وهي التي باركتني فيما بعد عندما تزوجت أباك يا بوليا ، قالت لي : « ألست أنت تلك الشابة التي رقصت « بالشال » عند تخرجها من المدرسة ؟ » ...

وقطعت كاترين ايفانوفنا حديثها وقالت ملاحظة :

ـ ... ينبغي ان ترتقي هذا الخرق ... فلو اخذت ابرة وقمت بتجربة كما علمتك امس ! انك اذا اهملتيه الان ازداد اتساعا غدا ... وعادت تسعل سعالا عنيفا ثم رجعت بافكارها الى حديثها الاول واردفت :

ـ وقد أم العاصمة أحد الامراء وهو الامير ستشيكولزكي وكان قد رقص معي مرة رقصة « مازوركا » فأراد في اليوم التالي ان يتقدم الي بعروضه لكنني افهمته بأجمل العبارات واكثرها نعومة بان قلبي ملك رجل آخر منذ بعيد ! اما ذلك « الاخر » فكان اباك يا بوليا ! وقد غضب ابوك حتى احمر عنقه لما سمع النبأ ...

وتغيرت لهجتها قليلا وهي تقول لابنتها الكبرى :

ـ هيا ... هل أنت مستعدة ؟ اذاً أعطني القميص والجوارب ... هيا أنت يا « ليدا » ـ البنت الاصغر ـ لعمري سوف تنامين هذه الليلة دون قميص ... ضعي جواربك جانبا سأغسلها أيضا ... رباه هذا الرجل ... صعلوك الرجال ... انه لن يعود الليلة كما يبدو ... السكير ؟ ان قميصه لم يتبدل منذ زمن ثم انه مزقها ايضا ... وددت لو عاد ليخلعها حتى اغسل كل هذه الثياب دفعة واحدة ... انني لا استطيع ان اغسل ليلتين متتاليتين ! رباه ! (وعاد اليها السعال على أشد ما يكون) ... ما هذا ؟...

كان هذا السؤال الاخير مبعثه الازدحام الذي شهدته فجأة في

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

المبشى امام باب غرفتها ، ثم ما لبثت ان رأت جماعة يدخلون الغرفة يحملهم ! هتفت :

ـ ماذا حدث ؟ ماذا تحملون ؟ يا اله السماء !

سأل احد رجال الشرطة الذي كان يتقدم الحشد :

ـ اين نضعه ؟ وراح يتلفت حوله باحثا ... بينما دخلت الجماعة التي تحمل الجثة ، جثة مارميلادوف وهي تقطر دما ...

هتفت راسكولنيكوف بلهجة المروع الحزين :

ـ ضعوه هنا على هذا الديوان ! ترفقوا بالله .

وصاح بعضهم :

ـ لقد دهس في الشارع ، وكان ثملا ...

تسمرت كاترين ايفانوفنا في مكانها برهة وشحب لونهـا حتى حاكى وجوه الاموات وراحت تتنفس بصعوبة بالغة . اما ليدا الصغيرة فقد صرخت صرخة مكتومة وهرعت الى اختها الكبرى بوليا تحيطها بساعديها الصغيرتين مخفية رأسها وهي ترتجف واقترب راسكولنيكوف من كاترين ايفانوفنا وقال :

ـ ناشدتك الله ان تهدئي ! الا يصعقنك الامر ! لقد كان يجتاز الشارع حينما دهمته عربة . لكن اطمئني فلسوف يعود الى وعيه ... لقد عنيت بنقله الى هنا وقد جئت معه قبل هـذه المرة تذكـري ... لسوف يستعيد قواه وسأدفع النفقات !

هتفت كاترين ايفانوفنا يائسة :

ـ كنت اتوقع شيئا كهذا واندفعت نحو زوجها تعنى به !

لاحظ راسكولنيكوف ان تلك المرأة لم تكن من اولئك النسوة اللواتي يفقدن الوعي ازاء المصائب . رآها ترفع رأس زوجها وتضـع تحتهـا وسادة ـ الأمر الذي لم يخطر على بال أحد ـ وتحـاول نزع

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ثيابه ! كانت تعمل دون ان تفقد جأشها او تضيع الوقت بالالتفات والتحسر حتى ليقال انها نسيت نفسها في تلك اللحظة كان كل همها محصورا في زوجها التعس فكانت تعمل وقد عضت على شفتها السفلى لتمنع الصرخات التي تحاول الافلات من فمها . اما راسكولنيكوف فقد استطاع انتداب احدهم للاتيان بطبيب ! ويشاء الحظ ان يكون في البناء ذاته طبيب عجوز يقطن في الطبقة السفلى ... فراح بانتظار وصوله يقوم بالاستعدادات المبدئية ثم قال يطمئن كاترين ايفانوفنا :

ـ لقد أرسلت استدعي طبيبا ... سأدفع أجوره ! هل لديك بعض الماء ؟ .. حسنا .. اعطني كذلك فوطة .. منديلا ، اي شيء ، اسرعي... لست ادري بعد اذا كانت جراحة خطيرة ... لكنه لم يمت ... تأكدي من ذلك ... سنرى ما سيقوله الطبيب !

هرعت كاترين ايفانوفنا الى النافذة وكان هناك على كرسي تحطمت قاعدته وعاء من الفخار مملوء بالماء استعدادا للمهمة التي كانت ستقوم بها في تلك الليلة : غسيل الثياب ! كانت المهمة واجبة الاداء ليلا تقوم بها كاترين ايفانوفنا بالذات أكثر من مرتين كل أسبوع لأن الثياب التي تلبسها هي وابناؤها حتى وزوجها هي كل ما يمتلكون فكان من الضروي اذا غسلها كل ما اتسخت ... واختيار الليل لتلك المهمة حتى تجف صباحا ويرتديها اصحابها ! ولما كانت كاترين ايفانوفنا شديدة الميل للنظافة فأنها كانت تقوم بذلك العمل المرهق ليلا بعد نهار طويل من السعي والعمل الشاق . وكانت تلك الاعمال ترهق قواها وتدنيها بخطى سريعة من نهايتها المرتقبة فكانت تحتملها في سبيل الابقاء على نظافة افراد الاسرة !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عزمت على حمل الاناء الكبير استجابة لرغبة راسكولنيكوف فكادت ان تنوء بثقله ، غمس راسكولنيكوف في الماء قطعة قماش وجدها وراح يغسل وجه التعس ليزيل عنه آثار الدماء ... كانت المهمة شاقة عسيرة والدماء لا تنقطع وكانت كاترين ايفانوفنا تقف على مقربة منه تتنفس بصعوبة وتضغط صدرها بيديها ... كانت اشد حاجة الى الاسعاف والعلاج بدورها ! وفجأة هتفت :

ـ بوليا ... اركضي الى حيث تقيم سونيا ... فاذا لم تجديها فاتركي لها خبرا كي تحضر سريعا حال وصولها ! قولي « لها » ان اباها قد دهسته عربة وان عليها ان تحضر الى هنا فورا ... اسرعي ... خذي هذا المنديل واستري به جسدك على قدر المستطاع !

وصاح أخوها الصغير ببراءة بلغته المتعثرة :

ـ « لوحي مثل التيل » (روحي مثل الطير الطائر !)

كان ذلك الغلام لا يزال جالسا على كرسيه وقد عبر عن عواطفه بتلك العبارة الساذجة ثم عاد الى سكوته وجموده وراح ينظر محدقا في اصابع قدميه الممتدتين !

وخلال هذا الوقت ، اكتظت الغرفة بالناس حتى ان تفاحة اذا القيت فوقهم ما كانت لتجد سبيلها الى الارض . اما رجال الشرطة فقد انسحبوا باستثناء واحد منهم فقد ظل هناك ليمنع تدفق المتجمهرين الى الغرفة . غير ان هذا التدبير لم يمنع اشتداد الزحام حتى ليقال ان كل المقيمين في ذلك البناء قد حضروا في تلك اللحظة مستطلعين . وقفوا بادىء ذي بدء امام المدخل في الممشى غير انهم لم يلبثوا حتى داهموا الحجرة الحقيرة ... فصرخت كاترين ايفانوفنا غاضبة :

ـ دعوه على الاقل يموت بسلام ! انتم تعتبرون المسألة مشهدا ينبغي التملي منه وقد احتفظ بعضكم بلفافاتهم في « مناقيرهم »

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

(.... نوبة سعال ...) لم يبقَ عليكم الا ان تدخلوا الى هنا دون تنزعوا قبعاتكم ... هه .... هذا واحد قبعته على رأسه ! هيا اخرجوا ... لتحترموا الموت على الاقل .

عادت نوبة السعال تخنق صوت المسكينة بينما لبث «المتفرجون» حيث هم لم يؤثر فيهم « استقبال » السيدة لهم . صحيح انهم كانوا يرهبون بعض الشيء كاترين ايفانوفنا فانهم بسبب تلك الرهبة تراجعوا قليلا عن مدخل الغرفة لكنهم كانوا يشعرون جميعا بذلك الاحساس الغريب: احساس بالسرور للنكبة التي تصيب بعض الناس، ذلك السرور العجيب الذي يغمر قلوب أقرب الناس الى المنكوب والذي لا تخلو منه نفس بشرية مهما بلغ اخلاصها وشعور الاسف والاسى الذي يعتلج فيها ! وعلت اصوات من الجانب الاخر للباب تتحدث عن المستشفى وانه ليس من اللائق اقلاق السكان وتعكير صفو بناء كامل لغير ما سبب ! وبلغت تلك العبارات مسامع كاترين ايفانوفنا فهتفت محتدمة :

ـ ماذا ؟ أليس من اللائق ان يموت المرء !

وهرعت الى الباب لتصب جام غضبها على المتجمهرين حينما اصطدمت فجأة بالسيدة « ليبيويشسل » صاحبة البناء التي بلغها النبأ فجاءت تعيد النظام الى نصابه . كانت تلك المرأة المانية مشاكسة محبة للعراك . هتفت بلغتها المحطمة وهي تضرب كفا بكف :

ـ آه يا الهي ! ان « زوجك » كان ثملا فدهس تحت حوافر الخيل ! فالى المستشفى ينبغي أن يذهب ! أنا صاحبة البناء !

صاحت كاترين ايفانوفنا بلهجة الاحتقار تقول :

ـ آميلي لودفيكوفنا ... ارجو ان تفكري قبل الكلام !

كانت لهجة كاترين ايفانوفنا مشوبة دائما بالاحتقار عندما تتحدث

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الى صاحبة البناء وقد نجحت باستعمالها تلك اللهجة على جعلها تقف غالبا عند حدودها فلا تحاول فرض سلطتها الخرقاء عليها . وكانت صاحبة البناء تكره ان يناديها انسان باسم اميلي لودفيكوفنا بينما كانت تلك التسمية تبهج كاترين ايفانوفنا التي لم يكن في يدها اي سلاح ينال من تلك المتغطرسة الا ذلك الاسم ! قالت صاحبة البناء :

ـ قلت لك ان اسمي ليس آميلي لودفيكوفنا وانما اميلي ايفانوفنا !

ـ انت لست اميلي ايفانوفنا بل اميلي لودفيكوفنا . وبما انني لست من المتقربين اليك مثل السيد ليبيزياتنيكوف الذي اسمعه يضحك الآن وراء الباب (والحقيقة ان هناك ضحكة علت في تلك اللحظة وراء الباب اثر هذا الحوار ضحكة من يتوقع أن تعود الأمرأتان الى « تجاذب الشعر » !) اقول لما كنت لست من المتقربين منك فسأستمر على تسميتك بهذا الاسم رغم انني لا اعرف سبب مقتك له ... انك ترين بنفسك ما اصاب « سيميون زاخاروفيتش » انه على وشك الموت فأرجوك ان تغلقي الباب وتمنعي هؤلاء المتطفلين من الدخول.. اعملي على ان يموت بسلام ! والا فانني اقسم لك بانني سأشكوك غدا تماما الى الحاكم العام . ان الامير يعرفني منذ طفولتي وهو يذكر سيميون زاخاروفيتش وكان يغمره دائما بعنايته ! كل الناس يعرفون ان زوجي كان ينعم بعدد كبير من الاصدقاء الذين يستطيعون حمايته لكنه هو نفسه بكبريائه وصونا لكرامته لما بلغت به الحال ان اصبح عبدا لتلك العادة المشؤومة ! خذي مثلا هذا السيد ـ واشارت الى راسكولنيكوف ـ انه تطوع لمساعدتنا من تلقاء نفسه وهو غني وكثير المعارف وكان سيميون زاخاروفيتش يعرفه منذ طفولته ... هل اقتنعت الآن يا آميلي لودفيكوفنا !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كانت كاترين ايفانوفنا تلقي هذا « الخطاب » بطلاقة متزايدة ، غير ان السعال قوت عليها غرضها في الاستمرار ... وفي تلك اللحظة عاد المحتضر الى صوابه واطلق غمغمة فهرعت اليه فاذا به قد فتح عينيه اللتين لم يكن للحياة ظل فيهما ورفعهما الى راسكولنيكوف الذي كان واقفا بجانبه . كان يتنفس بصعوبة شديدة تنفسا متقطعا صادرا من اعماق صدره ولما لم يتعرف على راسكولنيكوف بان في نظرته القلق بينما كانت كاترين ايفانوفنا تنظر اليه بحزن عميق لا يخلو من صرامة والدموع تنهمر من عينيها ! صاحت يائسة :

ـ رباه ! ان صدره مهشم ... يا للدم الغزير ... ان الدم يتدفق منه ! ينبغي ان نخلع عنه ثيابه الداخلية ! قليلا يا سيميون زاخاروفيتش اذا كنت تستطيع !

عرفها مارميلادوف وغمغم بصوت خافت ضعيف :

ـ قسيس !

انسحبت كاترين ايفانوفنا الى النافذة وضغطت جبهتها على اطارها الخشبي وهتفت في يأس مرير :

ـ ايتها الحياة المضاعفة اللعنة !

وعاد المحتضر يدمدم بعد لحظة سكون :

ـ قسيس !

فصاحت به كاترين ايفانوفنا :

ـ هلا تنتهي من هذا الكلام ! ..

فأطاع وصمت وفي عينيه نظرة قلقة خجلى راح يصعد بها فعادت الى جانبه وامسكت بيده فهدأ قليلا غير ان عينيه ظلتا تبحثان عن ابنته المفضلة « ليدي » التي كانت ترتجف مقرورة في احد الاركان وكأنها فريسة للحمى تنظر اليه بعيني الطفل الساذج وقد ادهشته

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

المفاجأة ! غمغم يريد النطق ولكن لم يصدر عن شفتيه الا صوت أجش:

ـ آ ... آ ...

كان يحاول الكلام ولكنه لا يستطيع فهتف بلوعة :

ـ ماذا بعـــد ؟

وعاد نظره الساهم يتعلق بابنته وغمغم باذلا جهدا جبارا :

ـ عارية الاقدام ... عارية الاقدام !...

فاجابت كاترين ايفانوفنا بلهجة غاضبة :

ـ اصمت ! انت أدرى من غيرك بسبب بقائها عارية القدمين !

وهتف راسكولنيكوف متنفسا الصعداء :

ـ حمدا لله ! لقد جاء الطبيب !

دخل الطبيب وكان عجوزا المانيا دقيق الجسم بادي الوساوس ، ينظر حوله بحذر وحرص . اقترب من المريض وجس نبضه ثم عاين رأسه بعناية ورفع القميص الملوث بالدم بمساعدة كاترين ايفانوفنا عن صدره . كان صدره محطما ببشاعة وقد سحق سحقا ومزق تمزيقا وكان عدد من أضلاعه قد تحطم وبدت لطخة كبيرة زرقاء مائلة للصفرة مترجرجة هي علامة خلفتها حوافر الجياد ! قطب الطبيب جبينه بينما كان رجل البوليس يقص عليه كيف وقع الحادث وكيف انتشلوه بعد ان التف ثوبه على محور الدولاب فجره معه مسافة ثلاثين خطوة ولم يلبث ان قال بصوت منخفض موجها حديثه الى راسكولنيكوف :

ـ ان ما يدهشني هو استعادته الرشد بعد كل هذا !

ـ ما رأيك يا سيدي ؟

ـ سوف يموت توا !

ـ اليس من امل نقاذه ؟

ـ اي امل ! انه يجود بآخر انفاسه ! ثم ان جراح رأسه خطيرة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كذلك هم ! نستطيع مثلا ان نقوم بعملية فصد مثلا لكنني واثق من عدم جدواها • سوف يموت حتما خلال دقائق قليلة !

ـ لنجرب مع ذلك عملية الفصد !

ـ ليكن ! لكنني اعلمك سلفا بعدم جدواها !

وارتفع صوت خطوات في تلك اللحظة بينما راح المجتمعون يفسحون المجال لدخول القادم ، وظهر على الباب قسيس عجوز ابيض الشعر يحمل قطعة « المناولة (١) » رمز جسد المسيح • كان احد رجال البوليس قد اصطحبه من الشارع فترك له الطبيب مكانه بعد ان تبادل معه نظرة فارغة • وراح راسكولنيكوف يرجو الطبيب بالبقاء فترة أخرى فهز هذا كتفيه وانتظر •

انسحب « النظارة » كلهم ولم يستغرق الاعتراف وقتا طويلا بل انه كان من المشكوك فيه ان المحتضر قد فهم شيئا مذكورا اذ لم يكن يستطيع النطق الا بصوت متقطع غير مفهوم • اما كاترين ايفانوفنا فقد حملت ابنتها « ليدي » وابنها الطفل وجئت معهما في احد الاركان • كانت الطفلة لا تزال ترتعد والطفل عاري الجسد جاثيا على ركبتيه على الارض العاريه يرفع يده اليمنى مقلدا امه وراسما اشارة الصليب • وكانوا جميعا يسجدون فتصطدم جباههم بالارض وكان الطفل يجد بهذه الحركة ما يسره ! وكانت كاترين ايفانوفنا تذرف دمعا سخيا مسترسلة في صلاة حارة راحت تستر عري طفلها وطفلتها بشال وجدته في دولاب قريب دون ان تنقطع عن الصلاة • وخلال تلك اللحظة عاد الفضوليون يفتحون الباب المؤدي الى الغرفتين الاخريين اللتين تسكنهما جماعة من الفقراء! وبلغ من تزايد عددهم انامتلأ

---

(١) Saints Espèces ظاهرة الخمرة والخبز اللذين تحولا الى ((جسد السيد المسيح)) بحسب التعاليم الكاثوليكية . المترجم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بهم المشى وقد بدا ان سكان البناء كله قد اجتمعوا هناك • وكان يضيء المكان نور ضعيف خافت •

عادت بوليا ــ وقد كانت تستدعي اختها الكبرى ــ عادت بعد ان شقت لنفسها الطريق بصعوبة وسط الزحام • كانت شديدة التعب نظرا للسرعة التي انجزت بها مهمتها فازالت الشال الذي كانت تستر به جسمها وبحثت بعينيها عن امها حتى وجدتها فاتجهت نحوها وقالت :

ــ سوف تحضر فورا ••• لقد صادفتها في الشارع !

فدعتها الأم الى الركوع والصلاة • وبعد برهة راحت فتاة شابة تسلل بخجل بين المتجمهرين فكان لظهورها في تلك الغرفة المفعمة بمظاهر البؤس دهشة بالغة • صحيح انها لم تكن شديدة الاناقة كما يقتضي بذلك الوسط الذي تعيش فيه : وسط الرذيلة ، لكنها كانت اذا ــ قورنت ــ بتلك الاطمار والاسمال المهلهلة التي تبدو في كل مكان ••

توقفت سونيا عند المدخل قليلا دون ان تجرأ على تخطيه • كانت تنظر بعينين ساهمتين لا تبدو فيها مخايل الادراك • نسيت ثوبها الحريري ذي اللون الصارخ الذي اشترته مستعملا والذي كان طوله يسترسل وراءها منتفخا حتى ليملأ مدخل الباب ، واحذيتها البيضاء ومظلتها التي لا نفع لوجودها في ذلك الليل وتلك القبعة المضحكة الكبيرة المصنوعة من القش المزينة بريشة بلون اللب التي كانت تظلل وجها نحيلا شاحبا مروعا وفما مفتوحا وعينين اتسعتا من الرعب !

كانت سونيا في الثامنة عشرة من عمرها قصيرة القامة هزيلة الجسم تمتاز بجمال الشقراوات ذوات العيون الزرق التي كانت منهن وكانت تنظر محدقة في الفراش الذي اسجي ابوها عليه وفي القسيس الواقف بالقرب منه • كانت هي الاخرى منهوكة لكثرة ما جرت •••

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لم تلبث أن علت همهمة بين المحتشدين وبلغ اذن سونيا بعضا مما يقولون فاطرقت برأسها واجتازت المدخل متجمعة شجاعتها ودخلت الغرفة دون ان تقترب من المحتضر ، وانتهى الاعتراف و « التناول » فعادت كاترين ايفانوفنا الى قرب زوجها ، فاراد القسيس قبل أن يخرج أن يلقي بكلمات من الزاد الديني على سبيل تعزية كاترين ايفانوفنا ، غير ان هذه قاطعته باحتداد وهي تشير الى أطفالها الصغار وقالت بجفاء :

ـ وهؤلاء ؟ ماذا سأعمل بهم ؟

فقال القس :

ـ ان الله رحيم ... فتأملي بعون العلي الاعلى ...

ـ اه اه ... انه رحيم ولكن ليس بالنسبة الينا !

ـ سيدتي ! هذه خطيئة قاتلة !

فصرخت كاترين ايفانوفنا وهي تشير الى المحتضر :

ـ وهذا ... أليس خطيئة ؟

ـ لعل اولئك الذين تسببوا بهذا البلاء غير عامدين يعوضونك شيئا عن فقدانك معيلك !

فصاحت كاترين ايفانوفنا بصوت خشن وهي تلوح بيدها :

ـ انك لم تفهم قصدي ! لم يعطونني تعويضا ؟ انه هو الذي القى بنفسه الى العجلات ... هو السكير ! نعم ... معيلي ! انه لم يسبب لي الا الآلام والعناء ... لقد كان يحول كل شيء الى شراب ... كان يعرينا ليشرب ! كان ينفق في الحانة المال اللازم لاعالته اطفالنا واعالتنا ! وها هو يموت ! فحمدا لله لقد تخلصنا !

ـ من الواجب يا سيدتي ان تغفري في مثل هذه اللحظة امام الموت ! ان مثل هذه المشاعر التي تبدينها تعتبر خطيئة ، خطيئة كبرى !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

استمرت كاترين ايفانوفنا تعنى بالمريض فتسقيه وتمسح العرق المتصبب على جسده والدم المتدفق من جراحه الذي كان يغسل وجهه او تسوى الوسائد تحت رأسه ثم تتحدث مع القس خلال هذه الاعمال فلما سمعت عبارته الاخيرة قفزت من مكانها واتجهت نحـــوه وفي عينيها بريق الغضب وقـالت :

ـ آه يا ابي ! انها ليست الا كلمات ! الغفران ! لو لـم تدهسه العربة اليوم لعاد الى البيت مخمورا . ولما كان لا يملـك الا القميص المتسخ القذر الذي يلبسه فان علي ان اغسل طوال الليل لتجف الملابس صباحا بينما هو « يشخر » ناعما بالنوم ! كان علي ان اغسل قميصه مع قمصان الاطفال والبستهم وكنت سأجفف تلك الملابس امام النافذة لانهض عند الفجر واعمل على رتق هذا واصلاح ذاك . كذلك امضي الليالي ... فماذا ينفع الكلام عن الغفران ؟ مع ذلك لقد غفرت !

وقطع حديثها سعال فظيع ولما هدأت ازمة السعـــال بصقت في منديلها ودفعته أمام عيني القس بينما ظلت يدهـا اليسرى قابضة عـلى صدرها تضغط عليه بشدة . كان المنديل ملوثا بالدماء ! امـا الراهب فقد احنى رأسه وسكت !

كان مارميلادوف خلال احتضاره يرفع بصره عن وجه كاترين ايفانوفنا التي عادت من جديد تنحني عليه مواسية مخففة . كان يبدو انه يريد التحدث بشيء فكان يبذل جهدا كبيرا ويحرك لسانه فيصدر عن شفتيه كلام غير مفهوم . فهمت كاترين ايفانوفنا انه كـان يطلب اليها الصفح فهتفت بصوت لا يقبل الجدل .

ـ اصمت ... لا فائدة ! لقد ادركت ماذا تريد ان تقول .

فصمت المريض المحتضر ولكنه في تلك اللحظة وقع بصره علـى الباب حيث كانت تقف سونيا ! كان حتى تلك اللحظة لم يلتفت الى ذلك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor